مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة

العدد الرابع محرّم- ربيع الأول ١٤٢٤ هـ مارس - مايو ٢٠٠٣ م

- مساجد الفتح (المساجد السبعة) وصلاة النبي ﷺ فيها
- المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في العهد العثماني
- مخطوطات المدينة المنورة في الخزانة الهاشمية الخاصة
- البنية العمرانية للمدينة المنورة قبل الإسلام
- التفقه في الدين والاندماج في أمة الإسلام عند القبائل المجاورة للمدينة المنورة

التفقه في الدين والاندماج في أمة الإسلام عند القبائل العربية المجاورة للمدينة في العهد النبوي

د . عبد الرحمن بن علي السنيدي

الأستاذ المشارك بقسم التاريخ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

مقدمة ثمة قبائل جاورت المدينة في عصر الرسول ﷺ . ونزلت بالقرب من المسالك المؤدية إليها مُشَكِّلَة بذلك ريفها وباديتها وإلى جانب صلة الجوار ارتبطت تلك القبائل بعلاقات اجتماعية مع سكان المدينة وتحالفات سياسية مع قبائلها وروابط اقتصادية وتجارية بسوق المدينة وتجارها ...

ويتحدد مصطلح ((حول المدينة)) في قوله تعالى ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ﴾[1] ((وفي قوله ﷻ ﴿ وممن حولكم من الأعراب ﴾[2])) عند بعض المفسرين بقبائل مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع اعتماداً على رواية عن ابن عباس ومجاهد[3] .

ليس بوسعنا تجاهل وجود قبائل أخرى تمتد مراعيها وتقترب من المدينة النبوية . أبرزها سُلَيم وفزارة الغطفانية غير أن تلك القبائل كانت تتحرك في مجال جغرافي واسع فسُلَيم انتشرت في منطقة واسعة تشمل ما بين مكة والمدينة

---

(١) سورة التوبة الآية (١٠١)

(٢) سورة التوبة الآية (١٢٠)

(٣) ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ) : زاد المسير في علم التفسير ، خرج أحاديثه وحققه ، أحمد شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ٣٧١/٣ ، ٣٨٩ ، القرطبي : محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ط٢ ، ١٤٢٠ هـ ج٨ ، ص ٢٢٠ . . الرازي : محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) التفسير الكبير ، بيروت دار إحياء التراث ، ط٢ .. مج٦/١٣٠ ، ١٦٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأجزاء من عالية نجد وكذلك انتشرت فزارة في مناطق حجازية ونجدية ، بينما كانت المدينة ، هي المركز الجاذب لغفار وأسلم ، وموطن الحلفاء بالنسبة لقبائل مزينة وأشجع وجهينة في يوم بعاث[١] وغيره .

بينما أظهرت فصائل سُليم وفزارة مواقف عدائية تجاه الدولة الإسلامية ، استجابت أسلم وغفار للدعوة النبوية (منذ وقت مبكر) تلاها مزينة وأشجع وجهينة .

ويدل الحديث النبوي ((قريش والأنصار ومزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله))[٢] على أن تلك القبائل قد أصبحت في مرحلة معينة من تاريخ السيرة النبوية جزءاً من الحلقة الأولى في بناء أمة الإسلام الناشئة وعنصراً من العناصر المعدودة ضمن دائرة أولياء وأنصار الله ورسوله ﷺ في حين لا زالت بقية القبائل في خندق المعارضة والمنابذة للدولة الإسلامية أو أنها لا تزال في مرحلة نقلة بين الولاء الشكلي للدولة وبين الاستجابة الفعلية للإسلام .

ومع أن استجابة قبائل الجوار لدولة الإسلام في المدينة لم تكن متزامنة إلا أن تلك القبائل سبقت قبائل كثيرة في الانضواء تحت راية دولة الإسلام والارتباط العضوي بأمة الإسلام الناشئة المكونة أساساً من المهاجرين والأنصار لتضاف بذلك مجموعة جديدة إلى تلك الأمة .

إن مجاورة هذه القبائل للمدينة في عهد رسول الله ﷺ وكونها قد شغلت منطقة ((ما حول المدينة)) ذلك المصطلح الجغرافي الوارد في القرآن الكريم ، وتميزها عن غيرها بالاستجابة الفعلية للإسلام قبل غيرها وسبقها قبائل كثيرة في الاندماج في أمة الإسلام الناشئة ، وعدها من قبل الرسول ﷺ جزءاً من التكوين الأساسي لأولياء الله وأنصار رسوله إلى جانب المهاجرين من قريش والأنصار من الأوس والخزرج . كما يفهم من الحديث الذي مر بنا كل ذلك مما يجعل هذه الدراسة تقتصر على هذه المجموعة من القبائل القاطنة حول المدينة .. هذا جانب ومن جانب آخر فإن التغير في حياة القبائل - بصورة عامة بعد

---

(١) انظر ، ابن الأثير : علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ١٣٨٦هـ ج١/ص ٦٨٠ .

(٢) البخاري : محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) : الجامع الصحيح ، كتاب المناقب ، باب ذكر أسلم وغفار وأشجع ومزينة وجهينة . ج٤ ، ص١٥٧ ، نشر استنابول المكتبة الإسلامية (د.ت) ، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١) : الجامع الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث رقم (٢٥٢٠) ج٤ ، ص١٩٥٤.استنابول، تركيا ، المكتبة الإسلامية (د.ت) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

دخولها في الإسلام - إنما هو في المقام الأول تغير ديني ثقافي وسياسي تجلى في انحسار الوثنية وزوالها وانتشار التفقة في الدين ، والانضواء تحت راية الدولة الإسلامية ، لهذا فإن البحث سوف يركز على ظاهرتين أساسيتين في حياة هذه القبائل ، انتشار التفقة في الدين ، ومسيرة الاندماج في أمة الإسلام الناشئة .

القبائل المجاورة للمدينة منازلها ، وملامح من أوضاعها :

للكيانات القبلية في مرحلة ظهور الإسلام في منطقة ما حول المدينة وغيرها من أقاليم الجزيرة العربية تأثيرٌ بالغ على حياة الأفراد والأسر ذلك أن القبيلة هي جوهر الحياة السياسية وهي المنظمة الرابطة بين مجموعة من الأفراد والعشائر وفق أعراف وتقاليد متوارثة ، وهي أيضًا الإطار الاجتماعي والسياسي الذي يحدد للبيوت والأفراد مواقفهم من الآخرين ومن المتغيرات والأحداث التي تطرق ساحة القبيلة كما يحدد لهم التزاماتهم الدفاعية وحركتهم نحو المراعي والمياه .

من هنا فلا غرابة أن تبدأ الدراسة بإعطاء لمحة عن هذه القبائل التي تجاور المدينة في العهد النبوي (أسلم وأشجع وجهينة وغفار ومزينة) وسوف تشمل هذه اللمحة نسب كل قبيلة وأبرز منازلها وعلاقات هذه القبائل بالمدينة قبل الإسلام في مراحل الصراع الداخلي بين الأوس والخزرج ، ثم ملامح من أحوالها الاقتصادية والدينية .

أسلم : إحدى القبائل الصغرى التي انتشرت فصائلها وبطونها جنوب غرب المدينة ومن منازلها الواردة في مصادر السيرة النبوية : العَرْج[١] ، وشبكة شَدَخ[٢] ويَيْن[٣] ، وتعد أسلم من بوادي المدينة حيث ورد ((إن أسلم ليسوا بأعراب هم أهل باديتنا))[٤] .

---

(١) ابن هشام : عبد الملك (ت ٢١٨ هـ) : سيرة النبي ﷺ ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة مكتبة التراث (د.ت) ج٢ ، ص ١٠٨ ، ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ) : الطبقات الكبرى بيروت دار صادر ، (د.ت) ،ج٤ ، ص ٣١٠ .

العرج : وادٍ يقع جنوب المدينة على مسافة ١١٣ كم ، شراب ، المعالم الأثيرة . ص١٨٨ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ١٨٤/٤ وعن شَدخ انظر: عاتق البلادي : معجم معالم الحجاز مكة ، دار مكة ، ط١ ، ١٤٠٠هـ ، ٢٤/٥ -٢٥ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٣٠٩/٤ ، وهي أرض على الضفة اليسرى لوادي ملل على (٤٥) كيلاً من المدينة جنوباً (عاتق البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، مكة . دار مكة ، ١٤٠٢ ، ص ٢٢٤ .

(٤) ابن سعد : المصدر السابق ٢١٥/٨ ، الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥) المستدرك على الصحيحين ، بيروت دار المعرفة (د، ت) ١٤٨/٤ وقال حديث صحيح الأسناد ، ويروي الإمام أحمد بسنده إلى سلمه بن الأكوع الأسلمي : أن رسول الله قال : ((أنتم أهل بدونا ونحن أهل حاضرتكم)) المسند ، ص٢٧ ، تحقيق شعيب الأرناؤط وإبراهيم الزيبق . بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠ هـ ، ص٨٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأسلم المجاورة للمدينة تنتمي إلى الأزد عند أكثر المؤرخين والنسابين[١] مثلهم في ذلك مثل الأوس والخزرج ، في حين يرى ابن حزم أن أسلم وخزاعة من مضر . مستنداً في ذلك إلى بعض الأحاديث ، ومنها أن النبي ﷺ مر على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق فقال : ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً[٢] غير أن ابن حجر يرى أن قول النبي ﷺ لأولئك الأسلميين ارموا بني إسماعيل . لا يدل على أنهم من ولد إسماعيل من جهة الآباء بل يحتمل أن يكون ذلك لكونهم من بني إسماعيل من جهة الأمهات لأن القحطانية والعدنانية قد اختلطوا بالصهارة[٣] ، كذلك يَرُدُّ (حسين مؤنس) القول بمضريتهم ويرى أن ذلك من شطحات ابن حزم[٤] .

وقد تحالفت أسلم مع غفار[٥] . كذلك شاركت أسلم مع بني عمرو الخزاعيين وبني هاشم أيام عبد المطلب جد النبي ﷺ في تحالف أشارت إليه بعض المصادر[٦] .

أشجع : قبيلة غطفانية مُضريَّة ، تنسب إلى أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، و هم من أعراب المدينة[٧] ، ومن منازلهم المروراة وعُشْرُ وإِضَم والخُبَيْت[٨] وكانوا ينزلون في بعض الفترات في شعب أشجع[٩] .

---

(١) ومنهم : المبرد : محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) : نسب عدنان وقحطان ، الدوحة ، قطر ، ١٤٠٤هـ ، ص ٣٢ - ٣٣ . انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، بيروت ، دار الفكر ، ٥٣٩/٦ ، عمر كحاله : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، بيروت ١٣٨٨هـ ٢٦/١ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ، عبد السلام هارون ، القاهرة ، دار المعارف ، طـ٥ (د.ت) . ص ٢٣٥ وانظر الحديث عند البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب المناقب . باب نسبة اليمن إلى إسماعيل ١٥٦/٤ .

(٣) فتح الباري ،٥٣٩/٦ .

(٤) تاريخ قريش دراسة في تاريخ أصغر قبيلة عربية ، جدة ، الدار السعودية ، ط١ ، ١٤٠٨ص٩ ،٥٢ -٥٣ .

(٥) الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) : الأغاني ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٣٨٩ ، ١٦٣/٢١ .

(٦) ابن حبيب : محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) المنمق ، صححه وعلق عليه : خورشيد أحمد فاروق ، بيروت . عالم عالم الكتب ، ط١ ، ت ١٤٠٥هـ ، ص٨٧ - ٨٨ .

(٧) ابن سعيد الأندلسي : علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق نصرت عبد الرحمن ، عمان ، مكتبة الأقصى (د ، ت) ج٥٨٠/٢ ،،عمر كحالة، معجم قبائل العرب ٢٩/١ .

(٨) البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ) : معجم ما استعجم ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، ١٣٦٤ هـ ، ١٦٦/١ ، ٤٨٧/٢ ، ٩٤٤/٣ ، ١٢١٨/٤ ، وتقع المراورة شرق المدينة ، البلادي : المعالم الجغرافية ص ٢٩٠ ، وتعد (عشر) من مراكز قبيلة أشجع شمال شرق المدينة ، البكري : المصدر السابق ٩٤٤/٣ وإضم واد يجمع أودية بطحان وقناة والعقيق ، البلادي : معجم المعالم الجغرافية ، ص ٢٩ والخبيث ماء بالعالية (عالية نجد) تشترك فيه أشجع وعبس (ياقوت : معجم البلدان ٣٤٥/٢) .

(٩) يقع قرب شعب سلع ، انظر : ابن شبه : عمر بن شبه (٢٦٢ هـ) : كتاب تاريخ المدينة ، علق عليه وخرج أحاديثه علي محمد دندل وياسين سعد الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ هـ ، ١٦٢/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

جهينة : قبيلة قضاعية تنسب إلى جهينة بن زيد ليث بن سواد بن أسلم بن إلحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير[١] ، وانتشرت جهينة في المناطق الغربية والشمالية الغربية من المدينة ، والمواضع المقابلة لسيف البحر الأحمر مما يواجه المدينة[٢] ، ويظهر أنها القبيلة الرئيسة في هذه المناطق ومن منازلها : القبلية[٣] ، وبواط[٤] ، الحوراء[٥] ، ذو المروة[٦] .

غِفَار : قبيلة صغيرة تنتسب إلى مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة[٧] كنانة[٧] ومن أبرز أماكنهم : الأبواء[٨] وغيقة[٩] والصفراء[١٠] ، وقد روى روى ابن اسحاق أن النبي ﷺ وهو في طريقه إلى بدر استقبل الصفراء وهي قرية بين جبلين فسأل عن جبليها ما أسماؤهما فقالوا : يقال لأحدهما هذا مُسْلِح وللآخر هذا مُخْرِيء ، وسأل عن أهلهما فقالوا بنو النار وبنو حُرَاق من غفار[١١] .

وتعد ضمرة الكنانية القبيلة الأم بالنسبة لغفار ولهذه القبيلة تحالف مع مدلج الكنانية في العشيرة[١٢] كما وادع سيدها مخشي بن عمرو الضمري

---

(١) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٣٤٩ ، ٤٤٤ .

(٢) الطبري : محمد بن جرير(ت ٣١٠ هـ) : تاريخ الأمم والملوك ، بيروت ، دار سويدان ، ط٣ ،١٣٧٨ هـ ، ٤٠٤/٢ .

(٣) البلاذري : أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ) : أنساب الأشراف ، ط١ ، تحقيق محمد حميد الله ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ١٩٥٩ ، ص ٣٨١ القبلية من نواحي الفرع بالمدينة ويرى بعضهم أنها سراه ما بين المدينة وينبع ما سال منها إلى ينبع سمى الغور وما سال منها إلى أودية المدينة سمي القبلية ، عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، مكة ، دار مكة ، ط١ . ١٤٠١ هـ. ج ٧ ، ص٨٧ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٩/٢ ،وبواط من جبال جهينة بناحية رضوى ، محمد شراب ، المعالم الأثيرة ص ٥٤ .

(٥) الواقدي المغازي ١٩/١ ، فرضة من فرض البحر تلقاء ينبع ، شراب ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

(٦) البيهقي : أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) : السنن الكبرى : دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد ج ١٤٩/٦ وتقع ذي المروة شمال المدينة على بعد ٣٠٠ كم ، البلادي : معجم المعالم الجغرافية ص٢٩٠ .

(٧) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١٨٦ .

(٨) الواقدي المغازي : ٥٧٧/٢ ، والأبواء وادي من أودية الحجاز يسمى اليوم الخريبة (البلادي : معجم المعالم الجغرافية ص ١٤) .

(٩) ابن الأثير : أسد الغابة ، ١١٨/٢ .

(١٠) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ٢٥٣/٢ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، بيروت ، دار المعرفة ، ج٣ ، ص ٦٢٢ والصفراء : وادي وقرية والقرية تسمى اليوم (الواسطة) أما الواد فهو من أودية الحجاز الفحول (محمد وشراب : المعالم الأثيرة ص ١٥٩) .

(١١) ابن هشام : المصدر السابق ٢٥٣/٢ .

(١٢) المصدر نفسه ٢٣٦/٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المسلمين في غزوة الأبواء[١] وهذه الموادعة أكد عليها سيد ضمرة في بدر بدر الموعد حيث بدا راغباً بالتمسك بها[٢] .

و من الواضح أن غفار استقلت بمواقفها وأحلافها عن كنانة وقد مر بنا تحالفها مع أسلم هذا التحالف الذي أثار أحد سادات ليث الكنانية وهو أمية بن الأسكر[٣] حيث يقول معبراً عن ذلك :

لقد طبت نفساً عن مواليك يارحضا[٤] وآثرت أذناب الشوائل والحمضا

يارحضا[٤] وكل ربيع رافضاً رفضا

تعللنا بالنصر في كل شتوة لقد جرَّ قومٌ لحمنا تِرباً قضا[٥]

ويظهر أن ثمة مخاطر واجهت تلك القبيلتين (أسلم وغفار) حدا بهما إلى التحالف . كما أن التخوف من القبائل الكبرى في المنطقة كسليم وغطفان من العوامل التي هيئت المجال لقيام التحالف المذكور .

مُزَيْنَة : من أعراب المدينة النبوية كما يذكر ابن سعيد الأندلسي ، ينتسبون إلى عثمان وأوس ابني عمرو بن أد بن طابخه بن إلياس بن مضر وقد غلب عليهم اسم أمهم مُزَينة بنت كلب بن وبرة[٦] ومن منازلهم جبال رضوى وقُدْسٌ وآرَة[٧] وساية وعقيق المدينة[٨] ، ووادي الفرع[٩] وتختلط منازل هذه القبيلة بديار جهينة .

---

(١) ابن هشام : المصدر السابق ٢/٢٣٦ .

(٢) ابن هشام : المصدر نفسه ٣/٢٢٢ . الواقدي : المغازي ١/٣٨٨ .

(٣) أمية بن الأسكر الجندعي الليثي الشاعر أدرك الإسلام وهو شيخ كبير (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ص ١٨٣ . ابن الأثير : أسد الغابة ١/١١٦ .

(٤) رحضه بن حربه الغفاري ، والد ايما بن حضة سيد غفار أثناء قدومهم على النبي ﷺ ، كما سيمر بنا لاحقاً . لاحقاً . ابن الأثير : أسد الغابة ٢/١٧٣ ، مسلم ، الجامع الصحيح ،كتاب فضائل الصحابة ، ج٤/ص ١٩٢٢ .

(٥) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ، ط ٢١ ، ص ١٦٣ .

(٦) ابن سعيد الأندلسي : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ١/٤٧١ ، ياقوت الحموي : المقتضب من كتاب جمهرة النسب ، بيروت ، دار العربية للموسوعات ، ط١ ، ١٩٨٧ م ، ص ٩٦ .

(٧) البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق : مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ١/٨٧ ، وقدس : سلسلة جبلية تشرف على مضيق الفرع وتبعد جبال آرة عن المدينة حوالي (٢٠٠) كيل . محمد محمد شراب : المعالم الأثيرة ، ص ١٥ ، ٢٢٢ .

(٨) البكري : المصدر السابق ، ٣/٨١١ ، ٩٥٣ ، وساية واد تبعد قاعدته (١٢٠) كم شمال مكة ، شراب : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٩) انظر : البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ص ٢٣٦ . والفرع وادٍ يمر على ١٥٠ كيلاً جنوب جنوب المدينة وكان عند البعثة لمزينة ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ . البكري : معجم ما استعجم ، ١/٣٧ ، صالح أحمد العلي ، الحجاز في صدر الإسلام . بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٠ ، ص ١٨٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتجاور هذه القبائل قبائل أخرى تنتشر فصائل منها جنوب شرق المدينة وفيما بين مكة والمدينة ، لعل من أبرزها سُليم وهي من القبائل المضرية المشهورة وتتفرع إلى مجموعة من الفصائل والبطون[١] منها ذكوان وبنو عصية ، وبنو رعل ، وقد شارك هؤلاء في الغدر بالقراء في بئر معونه في السنة الرابعة للهجرة[٢] وتشمل ديار بني سليم معظم حرة الحجاز من جنوبي المدينة حتى شمال مكة وتمتد شرقاً إلى عالية نجد[٣] .

وثمة مجموعات قبلية صغيرة تنزل في بعض الأماكن القريبة من المدينة كبني نهد[٤] بالروحاء[٥] ويحتمل أن يكون هؤلاء محالفون لقبائل كبرى في المنطقة ، كجهينة أو مزينة ذلك أن النهديين القضاعيين ينتشرون في تهامة اليمن ، وكانت طائفة منهم بالشام[٦] وقد جاء في بعض المصادر أن النبي ﷺ أثناء خروجه من المدينة عام الحديبية إلى مكة مر بالروحاء فلقي بها أصراماً من بني نهد[٧] .

هذه التجمعات القبلية المجاورة للمدينة لم تكن مصدر إزعاج يذكر للمدينة (يثرب قبل الهجرة) رغم أن القبائل غير المستقرة كثيراً ما تهدد حواضرها بالغارات السريعة الخاطفة وربما يعود ذلك إلى الاعتبارات الآتية :

أن بعض هذه القبائل قد ارتبط بتحالفات مع الأوس والخزرج وعلاقات وثيقة مع البطون اليهودية ، فقد تحالفت مزينة مع الأوس وأشجعُ وجهينةُ مع الخزرج ، وفي يوم بعاث شاركت هذه القبائل المتحالفة بفاعلية أشجع وجهينة مع الخزرج ومزينة مع الأوس[٨] وكان لبعض أعيان أشجع روابط وثيقة مع بني النضير وبني قريظة[٩] .

---

(١) عمر كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ٥٤٣/٢ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ١٨٥/٣ .

(٣) البلادي : معجم المعالم الجغرافية ، ص ٢٦ ، حمد الجاسر : القطائع النبوية ، الرياض . مجلة العرب ، ج١ ، س ٨ ، رجب ، ٣٩٣ هـ ، ص ٤ .

(٤) بنو نهد بن زيد بطن من قضاعة القحطانية (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٤٦) .

(٥) تبعد عن المدينة حوالي (٧٤) كيلاً وهي بين المدينة وبدر (محمد شراب . المعالم الأثيرة ، ص ١٣١) .

(٦) عمر كحاله : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ١١٩٧/٣ .

(٧) الواقدي : المغازي ، ٥٧٤/٢ .

(٨) انظر : أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ، ١٥٩/١٥ ، ابن الأثير : علي بن محمد (ت ٦٣٠) الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ،١٣٨٥هـ، ج١ ، ص٦٨٠ ،جواد علي :المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٤ ، ص١٤٠ ، ويظهر أن بعض فروع جهينة قد حالف الأوس يدل على ذلك ما جاء عند الواقدي على لسان نعيم بن مسعود الغطفاني ((وقد تجلب إليه (محمد ﷺ) حلفاء الأوس من بلى وجهينة وغيرهم)) . المغازي ٣٨٥/١ .

(٩) انظر : الواقدي : المغازي ، ص١٩٨ ، ٤٨٠/٢

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كما ضم مجتمع (يثرب) قبل الإسلام وبعده أعداداً لا بأس بها من الجهنيين والأشجعيين والمزنيين[١] كحلفاء لبعض الشخصيات والبطون الخزرجية والأوسية ، ويبدو أن تلك التحالفات والروابط قللت من غارات أعراب المدينة عليها .

تتمتع المدينة بمميزات جغرافية وطبيعية حيث الحرتان والآطامُ والبساتينُ مما صعب الهجوم على المدينة من قبل المغيرين والمعتدين .

ولهذا يقول قائلهم : ((إن مدينتنا عذراء ما فُضَت علينا))[٢] وكانوا قد شبكوا المدينة بالبساتين فهي كالحصن .

لعل زعماء القبائل وأعيانها يدركون أهمية سوق المدينة لهم حيث يجلبون إليه سلعهم وبضائعهم البسيطة ويشترون التمر والحبوب[٣] ، كذلك كان بعض أهالي المدينة يستأجرون إبلهم لنقل الأمتعة والأحمال من المدينة إلى خارجها[٤] .

إضافة إلى ذلك فإن قدرات أهل المدينة الدفاعية ليست ضعيفة فهم أهل الحروب وأهل الحلقة[٥] ولهذا لم تكن المدينة موضع طمع أعرابها لقوتها ، وتأكدت هذه الحقيقة عندما أراد النبي ﷺ مصالحة غطفان أثناء اشتداد الأزمة على المسلمين عام الخندق مقابل ثلث ثمار المدينة على أن ينصرفوا فقال زعيم الأوس (سعد بن معاذ) :

((يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قِرى أو شراء)) . قد تدفع - يثرب - بعض المال لبعض الزعماء القبليين كعيينة بن حصن الفزاري الذي كان أهل يثرب يدفعون له مالاً ، ولعل ذلك مقابل تقديم الخدمات لتجار يثرب عربهم ويهودهم وهم يتنقلون بين المدينة وخيبر والشام[٦]..

---

(١) بوسعنا أن نجد في كتب السيرة وكتب الصحابة ، العديد من الصحابة من جهينة و مزينة وأشجع حلفاء لبعض بطون الأوس والخزرج ، مثل مالك بن نميلة (من مزينة) وسنان بن وبر الجهني وبسبس بن عمرو الجهني وعصيمة الأشجعي ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ٣٥١/٢ ، ٨٠/٣ ، ٣٤٤/٤ .

(٢) الواقدي : المغازي ، ٢١٠/١

(٣) انظر خبر وفادة حسيل بن خارجة الأشجعي الذي قدم المدينة في جلب يبيعه ، ابن الأثير : أسد الغابة ١٦/٢

(٤) يراجع : الواقدي : المصادر السابقة ٣٦٧/١ - ٣٦٨ حيث استعان بنو النضير بإبل من أشجع للخروج من المدينة .

(٥) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ٥٠/٢ .

(٦) البيهقي : أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) : دلائل النبوة ومعرفة أصول صاحب الشريعة ، ج٣ ، ص ٤٣٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

روي أن عيينة بن حصن كان يأخذ من أهل يثرب مبلغاً من المال .. وكأن يأتيهم لهذه الغاية يقول الشاعر معبراً عن ذلك :

وما جئتهم إلا لتأكل تمرهم وتسرق في أهل الحجاز وتكذبا[١]

ومثل عيينه بن حصن ، ونعيم بن مسعود الأشجعي الذين كانت لهما علاقات وصلات ببني قريظه .. وكنانه بن أبي الحقيق . والمتوقع أن تكون تلك العلاقات مرتبطة بخدمات كان يقدمها نعيم مسعود وقومة لهولاء القوم[٢] . كما تكشف أحداث سرية الخبط وأميرها أبو عبيدة عن وجود علاقات بين بعض رجال جهينه ، وسعد بن عباده ﷺ[٣] ، وكل هذه العلاقات تأتي في إطار العلاقات المصلحية الضرورية لحركة التجارة والنقل بين مدن الحجاز .

مارس أبناء تلك القبائل أنشطة اقتصادية متناسبة مع البيئة التي عاشت فيها وفي مقدمة تلك الأنشطة (تربية الماشية ، وممارسة حرفة الرعي) وقد تطلب ذلك التنقل الموسمي بحثاً عن الماء والكلأ .

ويشير وصف سكان ما حول المدينة في القرآن الكريم بالأعراب إلى طبيعة حياتهم الاقتصادية وأسلوب عيشهم وغلبة حياة التنقل والارتحال بغية طلب الكلأ وتتبع مساقط الغيث[٤] وذلك ضمن المجال الجغرافي الذي تتحرك فيه القبيلة .

وبوسع الدارس أن يجد في ثنايا كتب السير والمغازي مواد متناثرة تعطي قدراً من المعلومات عن طبيعة سكان البادية ومراكز العمران جنوب وغرب المدينة التي مر بها المسلمون مع رسول الله ﷺ في أكثر من موقف وحدث .

ففي روايته لمسيرة النبي ﷺ إلى مكة عام الحديبية يذكر الواقدي أن فئة الأعراب في المناطق الواقعة جنوب غرب المدينة قوم سيارة [يصجون بأرض وهم الغد بأرض أخرى يَتَّبعون الغيث] ، وذكر أنهم أرسلوا رجلاً إلى فرش ملل[٥]

(١) ابن شبه . تاريخ المدينة . تحقيق على دندل ، وسعد بيان ، ٢٩١/١ .

(٢) الواقدي ، المغازي ، ١٩٨/١ .

(٣) الواقدي المصدر نفسه ٧٧٥/٢ .

(٤) انظر : الأزهري : محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ) : تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرون ، القاهرة ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٨٤ هـ ، ٣٦٠/٢ - ٣٦١ .

(٥) فرش ملل وادٍ من أودية المدينة على طريق مكة ، على بعد (٤١) كيلاً : عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ٢٦٠/٨/محمد شراب : المعالم الأثيرة ، ص ٢٧٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يرتاد البلاد وأنه أخبرهم أن الشاة شبعت وأن البعير يمشي ثقيلاً مما جمع من الحوض وأن الغُدُر كثيرة مروية[١] .

وتعد أسلم وأشجع في مقدمة القبائل التي عرفت بثروتها الحيوانية ، يذكر بريدة بن الحصيب الأسلمي أن جزءاً من قبيلته في محالها بالصحراء بين مواشيهم ومعاشهم[٢] ، ويقول نعيم بن مسعود الأشجعي عن قومه ((كنا قوماً عرباً لا نخل لنا ولا كرم وإنما نحن أهل شاة وبعير))[٣] .

ومن المهن والأنشطة التي مارسها أبناء القبائل المجاورة للمدينة الزراعة البسيطة بالقرب من العيون والأودية . كما في العشيرة[٤] والصفراء ويليل حيث زراعة النخيل والبطيخ والحنطة[٥] .

كما أن الصيد من الحرف التي امتهنها أبناء تلك القبائل .. فقد ورد عن سلمة بن الأكوع الأسلمي أنه كان يتبع الصيد وعندما خرج للصيد وعاد أخبر النبي ﷺ أنه (تراخت به الوحوش حتى بلغ ثَيْب) .. وقد قال له رسول الله (أما أنك لو صدت هاهنا وأشار إلى العقيق لشيعتك إذا خرجت وتلقيتك إذا جئت)[٦] .)[٦] .

ومما يصاد الحمر الوحشية ، والضِّبَاب ؛ ففي مسير النبي ﷺ إلى الحديبية أتى الأعراب بالروحاء بثلاثة أَضْبُب يعرضونها ، فاشتراها قوم من أحلة العسكر[٧] .

والخلاصة ، أن المدينة لم تتعرض لأي تهديد ذي بال من قبل تلك القبائل ، في حين تنامت الروابط الاقتصادية والاجتماعية بين المدينة وباديها المجاورة .

---

(١) المغازي ، ٥٧٥/٢ - ٥٧٦ .

(٢) الواقدي : المصدر نفسه ٨٠٠/٢ .

(٣) المصدر نفسه ٤٨٠/٢ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ٢٣٦/٢ .

(٥) انظر : عرام السلمي : كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، وتحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مطبعة أمين عبد الرحمن ، ص ٨ ، ٩ .

(٦) ابن شبه : عمر بن شبه النميري (ت ٢٦٢ هـ) : تاريخ المدينة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٧ ، ج١ ، ص ٩٥ ، واسناده حسن . وثيب : جبل شرقي المدينة في صدر وادي قناة ، محمد محمد شراب : المعالم الأثيرة . ص ٤٨ .

(٧) أحلة العسكر : أي ممن لم يحرموا وانظر الخبر عند الواقدي ، المغازي ٥٧٥/٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ديانة القبائل

وكما هو الشأن عند معظم القبائل العربية سادت عبادة الأصنام والأوثان ديار تلك القبائل المجاورة للمدينة ، فمن أبرز الأصنام المعبودة في ديار تلك القبائل صنم مزينة «نهم» ذلك الصنم الذي كان (خزاعى بن عبد نهم يحجبه)[١] ويظهر أن هذا الصنم كان مقدساً عند أسلم أيضاً حيث إن هناك من الأسلميين من حمل اسم « عبد نهم »[٢] . ومن الأصنام الموجودة في ربوع هذه القبائل صنم مناة على ساحل البحر من ناحية المشلل[٣] ، وسواع وكانت مزينة ممن يقدس ذلك الصنم[٤] إلى جانب ذلك ثمة أصنام لبعض الأفراد أو العشائر كصنم قوم عمرو بن مرة الجهني ، الذي كان والده سادنًا له[٥] .

لا تقدم لنا المصادر المعنية بتاريخ العرب قبل الإسلام تفاصيل دقيقة عن مدى تأثير الكتابيين في تلك القبائل ، خاصة وأن ديار بعض تلك القبائل يمتد حتى بلاد الشام وهناك ما يدل على وجود بعض الأشخاص أظهروا عدم اقتناعهم بتقاليد الوثنية وطقوسها وبالذات في غفار .

مثل آبي اللحم الغفاري ، والذي كان لا يأكل ما ذبح على النصب[٦] ومثل أبي ذر الغفاري والذي كان قبل أن يسلم يتجه بالصلاة لله وكان يتأله ويقول لا إله إلا الله[٧] ، ولقد كانت عبادة الأصنام والأوثان تتطلب من القبائل النظر إلى قريش باعتبارها المسؤولة عن تلك الديانة . والكعبة باعتبارها مركزاً نشرت حوله قريشاً عشرات الأصنام فإن بعض أعيان القبائل المجاورة للمدينة وهو عبد الدار بن حديب سعى أن يبني بيتاً الحوراء يضاهي به الكعبة ، لكن قومه أبوا عليه ذلك وأعظموه إيما إعظام وفي ذلك يقول عبد الدار :

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٢ ، ص ١١٣ .

(٢) عبد نهم الأسلمي والد (عمرو عبد نهم) دليل المسلمين إلى ثنية ذات الحنظل أثناء مسيرهم إلى الحديبية . الواقدي : المغازي ٢ ، ص ٥٨٤ .

(٣) أقدم الأصنام عند العرب (وكانت للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد (ابن هشام ، سيرة النبي محمد ﷺ ٩٠/١٠ ، المشلل : ثنية أسفل قديد من الشمال وفيها مناة الطاغية في العهد الجاهلي ، البلادي : معجم المعالم الجغرافية ، ص ٢٩٨ .

(٤) ابن حبيب : المحبر ، ص ٣١٦ .

(٥) ابن كثير : اسماعيل بن عمر (٧٧٤ هـ) : البداية والنهاية ، تحقيق ، عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ، القاهرة ، ط١ ١٤١٩ هـ ، ٥٢٩/٣ - ٥٣١ .

(٦) ابن الأثير : أسد الغابة ، ٣٥/١ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٢٢٢/٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولقـــد أردت بـــأن تقـــام بنيـــة ليســـت بحـــوب أو تطيـــق بمأتـــم
فـــأبى الـــذين إذا دعـــوا عظيمـــة راغـــوا ولاذوا في جوانـــب قـــودم[1]

من هنا يبدو أن الوثنية ظلت محدودة الأثر في حياتهم وربما كانوا يؤدون طقوسها تقليداً ومجاراة وذلك مما سهل عملية انتشار الإسلام والتفقه في الدين في ديار هذه البوادي ، هذا على الرغم من وجود مؤثرات وعوامل داخلية كانت تقف في طريق شيوع الإسلام ومنها الأعراف القبلية والتقاليد المألوفة وبعض الطبائع السلوكية إضافة إلى المؤثرات الخارجية ذلك أَنَّ قريشاً بنفوذها وسلطانها الأدبي والمعنوي ، وقفت ضد انتشار الدعوة وحاولت القضاء عليها إضافة إلى أن المسلمين في المدينة ظلوا فترة من الزمن يواجهون معارضة داخلية وخارجية بشكل حد من نشاطهم الدعوي والتثقيفي في المناطق المجاورة .

انتشار الإسلام والتفقه في الدين بين التجمعات القبلية المجاورة للمدينة

يأتي التفقه في الدين بعد الدخول في الإسلام والإقرار بالوحدانية والنبوة المحمدية ومما يحققه التفقه في الدين إحاطة الداخل في الإسلام بمسائل الدين و أحكامه ، وتزويد المتفقهين بما نزل من الوحي وما جَدَّ من أحكام وأوامر ونواهٍ شرعية باعتبار أن القرآن الكريم نزل منجماً وأن التشريع جاء متدرجاً . وباعتبار أن انتشار الإسلام وانسيابه بين مختلف التجمعات القبلية يوفر أرضية صالحة للإقبال على التفقه في الدين ويدفع المسلمين الجدد إلى التعرف على شعائر دينهم وحقائقه .

وقد شهدت السنوات الأولى من العهد النبوي في مرحلته المدنية (بعد هجرة النبي ﷺ) إسلام الغفارين والأسلميين ، وهو تحول أزعج قريشاً والقوى القَبَلِيَّة التي تعارض الدعوة وتحاول محاصرتها والانتقام منها .. ويعود إسلام غفار إلى جهود بذلها أبو ذر الغفاري رضي الله عنه - حيث أسلم في فترة متقدمة جداً من العهد المكي حيث وفد على رسول الله ﷺ - بمكة وآمن به .. وكان مما قال له رسول الله ((هل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم))[2] .

(١) ابن الكلبي : هشام بن محمد (ت ٢٠٤) : كتاب الأصنام ، القاهرة ، الدار القومية ، ١٩٦٤ م ، ص ٤٥ ، يحيى شامي : الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ص ١٨٤ .

(٢) إيماء بن رحضة سيد غفار في زمانه ووافدهم كان يسكن غيقة من ناحية السقيا ثم انتقل إلى المدينة فاستوطنها، ابن الأثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة ج ١/١٦٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي صحيح مسلم يقول أبو ذر بعد عودته إلى غفار ((فأسلم نصفهم وكان يؤمهم إيماء بن رحضه الغفاري وكان سيدهم ، وقال نصفهم إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا فقدم رسول الله ﷺ فأسلم نصفهم الباقي))[١] .

وروى الطبراني بسنده عن أبي ذر أن الغفاريين قالوا لرسول الله ﷺ ، بعدما قدموا عليه : يا رسول الله : إن أبا ذر قد أعلمنا ما أعلمته وقد أسلمنا وشهدنا أنك رسول الله[٢] . ويعني ذلك أن انتشار الإسلام وبدايات التفقه في الدين بدأ في منازل غفار في مرحلة سابقة للهجرة النبوية وهي مرحلة اتسمت بنشر العقيدة ومسائلها في وقت لم تنزل فيه تشريعات كثيرة .

إن إسلام الغفاريين لا يعني عدم وجود مؤيدين لقريش بينهم ولا يعني عدم وقوف بعضهم على الحياد في الصراع بين المسلمين وقريش تأثراً بموقف قبيلة (ضمرة) وهي القبيلة الأم التي ينتمي إليها الغفاريون وقد وادعت المسلمين خلال غزوة الأبواء (وادن) وفي العشيرة مع بني مدلج[٣] كما عمل أمثال ((ضمضم الغفاري)) في خدمة بعض قادة قريش .. فقد استأجره أبو سفيان عندما علم بخروج المسلمين لملاقاة القافلة التي كان يقودها وطلب منه إبلاغ قريش بخروج المسلمين لاعتراض القافلة المذكورة فخرج إلى مكة وجاء إلى قريش منذراً ((يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدع بعيره ، وحول رحله وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللَّطيمة اللَّطيمة))[٤] .

وأما ((أسلم)) فقد ارتبط موقفها من الإسلام بموقف غفار العام ، حيث تجاوبت مع دعوة النبي ﷺ ، جاء في رواية أبي ذر التي أخرجها مسلم وغيره ، ((وجاءت أسلم - بعد إسلام غفار - فقالوا : يا رسول الله إخوتنا (أي غفار) نسلم على الذي أسلموا عليه فأسلموا فقال رسول الله ﷺ غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله))[٥] .

---

(١) الجامع الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة ، ج٤ ، ص ١٩٢٢ .

(٢) الطبراني : سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠) : المعجم الأوسط ، الرياض ،مكتبة المعارف ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ ج١ ، ص ٢٨ – ٢٩ رقم الحديث (٦٠) .

(٣) ابن هشام : عبد الملك بن هشام : سيرة النبي – ﷺ - ج٢ ، ص ٢٣٤ ، ٢٢٤ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٢ ، ص ٢٤٧ .

(٥) مسلم : الجامع الصحيح : كتاب فضائل الصحابة ، ١٩٢٢/٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي رواية .. أن أسلم قالوا : يا رسول الله إنا قد رغبنا ودخلنا فيما دخل إخواننا وحلفاؤنا فقال رسول الله ﷺ : أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها[١] .

وهناك روايات أخرى يُفْهَم منها شيوع الإسلام وانتشاره بين أسلم أثناء الهجرة وبعدها . يذكر ابن سعد أن بريدة بن الحصيب الأسلمي أسلم حين مر به النبي ﷺ أثناء الهجرة وهو في الطريق إلى المدينة حيث أسلم ومن معه وكانوا زهاء ثمانين بيتاً[٢] ، كما يذكر ابن قتيبة أن بريدة بن الحصيب أسلم في كراع الغميم أثناء مرور النبي ﷺ بها حيث دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام فأسلموا ثم قدم بريدة على رسول الله ﷺ المدينة وهو يبني المسجد[٣] ، وثمة رواية أخرى تذكر أن بريدة بن الحصيب إنما أسلم بعد عودة النبي ﷺ من بدر[٤] وهناك من يستبعد أن يكون بريدة بن الحصيب قد أسلم أثناء مرور النبي ﷺ بديار أسلم في طريق هجرته[٥] .

لقد كان النبي ﷺ معَرَّضاً للتعقب من قبل قريش ومع ذلك فلا يستبعد أن يكون ﷺ قد التقى ببريدة بن الحصيب ، ومعلوم أن أسلم وخزاعة كانوا على حلف ومودة مع عبد المطلب جد الرسول ﷺ[٦] ، ويؤكد ابن هشام مرور الرسول ﷺ أثناء هجرته مع صاحبه الصديق بديار أسلم فعندما وصف طريق الهجرة ذكر أن النبي ﷺ مر بالعرج وهو من ديار أسلم[٧] يقول ابن هشام : (ثم هبط بهما (الدليل) العَرْج وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهما فحمل رسول الله رجل من أسلم وبعث معه غلاماً يقال له مسعود بن هنيدة)[٨] .

---

(١) الطبراني : المعجم الأوسط ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ط١ ، ١٤٠٥ ، ٢٨/١ – ٢٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٤٢/٤ ، الصالحي : محمد بن يوسف (٩٤٢ هـ) . سبل الهدى والرشاد . ج٣ ، تحقيق عبد العزيز حلمي ، ص ٣٥٨ – ٣٥٩ .

(٣) ابن قتيبة ،أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦ هـ) : المعارف تحقيق ثروت عكاشة ،القاهرة(د،ت)،ط٢ ، ص ٣٠٠ .

(٤) ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) : الإصابة في تمييز الصحابة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٣٢٨ هـ ، ١٤٦/١ .

(٥) حسين مؤنس : تاريخ قريش ، جدة ، الدار السعودية ، ط١ ١٤٠٨ هـ ، ص ٥٣١ .

(٦) ابن حبيب : محمد بن حبيب : المنمق في أخبار قريش ، تحقيق خورشيد فاروق ، بيروت ، عالم الكتب ط١ ، ١٤٠٥هـ . ص ٨٧ .

(٧) ابن الأثير : أسد الغابة ، ١٤٧/١ ، ٢٤٩ .

(٨) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٢ ، ص ١٠٧ ومسعود بن هنيدة : غلام فروة الأسلمي شهد المريسيع مع النبي ﷺ ، ﷺ ، وفي رواية أنه مولى أوس بن حجر الأسلمي (ابن الأثير : أسد الغابة ٣٥٩/٤ ، ٣٦٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومع مرور الزمن أخذ الإسلام ينمو في مواطن أسلم ، وقد ورد عن مسعود بن هنيدة ، وما يفيد بانتشار الإسلام بالخذوات إحدى منازل أسلم حيث يقول : ((الناس صالحون وقد رغب الناس في الإسلام وكثروا من حولنا))[١] ، ولقد كان القُرْب الجغرافي من المدينة والارتباطات المختلفة معها من عوامل نمو الإسلام في ديار أسلم وقد ورد أن ((أسلم ليسوا بأعراب هم أهل باديتنا ونحن أهل قاريتهم))[٢] .

أضف إلى ذلك أن القبيلة لم تكن موالية أو داخلة في تحالفات قريش كحلف الأحابيش ، وإنما كانت صلتها بغفار وخزاعة ، ويبدو أن تحالف أسلم مع غفار من العوامل التي جعلت القبيلتين تتخذان الموقف نفسه من الإسلام ، كما يأتي من ضمن عوامل الاستجابة المبكرة من قبل أسلم وكذلك غفار للدعوة النبوية . أنه لم يكن في القبيلتين زعماء معاندون متشبثون بقيم الماضي الجاهلي بحيث يدفعهم ذلك إلى فرض موقف رافض للإسلام على عشائرهم .

ويوضح إسلام أبي ذر الغفاري وإيماء بن رحضة (سيد غفار) وبريدة بن الحصيب الأسلمي ومن ورائهم الغفاريون والأسلميون أن إسلام أولئك القوم جاء نتيجة اقتناع داخلي ورغبة حقيقية في الإسلام ولم يأت عن طريق ضغوط عسكرية أو مادية إطلاقاً .

لقد حظيت هاتان القبيلتان بدعاء النبي ﷺ لهما كما سبق ، لأنهما أسلمتا طوعاً من غير قتال ولا إكراه[٣] ، ويذكر البغوي أن غفار كانت تزن بسرقة الحجاج فدعا فدعا رسول الله ﷺ أن يمحو الله عنهم تلك السبة ويغفرها لهم[٤] .

ومع ذلك تظل مسألة ترسخ وتعمق الإسلام في ديار أسلم وغفار مرهونة ببذل جهود في سبيل نشر الفقه في الدين بين جموع القبيلتين ممن لم يهاجر إلى المدينة ، وبتوقف ضغوط قريش وإغراءاتها المقدمة لهاتين القبيلتين ولغيرهما ممن تمر قوافل أهل مكة عبر ديارهما .

---

(١) الخذوات : موضع قريب العرج . (محمد شراب : المعالم الأثيرة : ص ١٠٧)

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢١٥/٨ وانظر ابن الأثير : أسد الغابة ٥٩٢/٥ .

(٣) القرطبي : أحمد بن عمر (ت ٦٥٦هـ) : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣٩٩/٦ .

(٤) شرح السنة ، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج٧ ، ص ١٦٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أما مزينة وأشجع وجهينة فثمة أفراد من هذه القبائل أسلموا في وقت مبكر .. في حين أبطأ إسلام بعض الفصائل المنتمية لهذه القبائل ، كما وجدت معارضة للدعوة داخل بعض الأسر والفصائل .

فممن وُصِف بأنه قديم الإسلام عمرو بن عوف المزني[١] ، وجارية بن حُميل الأشجعي[٢] ، وسويد بن صخر الجهني[٣] ، ومعبد بن خالد الجهني[٤] ، كذلك أسلم بعد الهجرة عبد العزيز بن بدر بن زيد الجهني وسماه النبي ﷺ عبد العزيز[٥] ، وكذلك عقبة بن عامر الجهني الذي أسلم بعد قدوم النبي ﷺ المدينة[٦] ، ويدل قول صفوان بن أمية أحد زعماء قريش بعد بدر ((إن محمداً وأصحابه عوروا علينا متجرنا وأن أهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه))[٧] هذا القول يفهم يفهم منه وجود موادعات بين المسلمين والفصائل القبيلية في منطقة الساحل المواجهة للمدينة أزعجت قريشاً كما يدل على تزايد أعداد الداخلين في الإسلام بين تلك القبائل ومنها جهينة[٨] ، ومزينة .

ورغم أن الموادعات تهيء المجال للمسلمين لنشر دينهم في مناطق القبائل فثمة ما يدل على وجود معارضة للدعوة بين جهينة ومزينة أدت إلى تأخر إسلام بعض الأحياء من القبيلتين .

فقد واجه عمر بن مرة الجهني لما بعثه النبي ﷺ إلى قومه بعض المعارضة[٩] وكذلك لقي عبد الله ذو البجادين المزني التضييق والأذى من قومه لما أسلم[١٠] .

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٤ ، ص ١٣٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص ٣٧٨ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٧٨ .

(٤) ابن الأثير المصدر نفسه ٣٩٠/٤ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٣٣/١ . ابن الأثير : أسد الغابة ج٣ : ص ٣٢٨ .

(٦) ابن سعد : المصدر السابق ٣٤٤/٤ .

(٧) الواقدي : المغازي ، ١٩٧/١ .

(٨) عن مناطق جهينة قرب الساحل (سيف البحر) انظر ، الطبري : محمد بن جرير (٣١٠ هـ) : تاريخ الأمم والملوك ، بيروت ، دار سويدان ، (د ، ت) ٤٠٤/٢ .

(٩) ابن كثير : اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله التركي ، القاهرة ، دار هجر ، هجر ، ط ١٤٢٠هـ ، ٥٢٩/٣ - ٥٣١ .

(١٠) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ١٨٣/٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتلكأ قوم خزاعى بن عبد نهم المزني لما دعاهم إلى الإسلام وكان قد وعد النبي ﷺ بأن يأتي بقومه فأبطأوا عليه ، وفي رواية ابن سعد أنه لم يجدهم كما ظن فقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت اذكر خزاعياً ولا تهجه فقال :

ألا أبلغ خزاعياً رسولاً ... بأن الذم يغسلهُ الوفاء
وأنك خير عثمان بن عمرو ... وأسناها إذا ذكر السناء
وبايعت الرسول وكان خيراً ... إلى خير وأدّاك الثراء

فقام خزاعى فقال يا قوم قد خصكم شاعر الرجل فأنشدكم الله ، قالوا : فإنا لا نبتو عليك . فأسلموا ووفدوا على النبي ﷺ[1] .

ويذكر ابن سعد أن مزينة وفدت على النبي ﷺ في أربعمائة وذلك في رجب سنة خمس فجعل لهم رسول الله ﷺ الهجرة في دارهم وقال : أنتم مهاجرون حيث كنتم . فارجعوا إلى أموالكم فرجعوا إلى بلادهم[2] .

ويظهر أن فصائل كثيرة في جهينة ظلت تعارض الدعوة مما أدى إلى توجيه بعض السرايا والغزوات إليها . مثل السرية التي أرسلت إلى بطن الحرقة[3] من جهينة[4] وسرية أبي عبيدة إلى حي من جهينة بالقبلية في رواية البلاذري[5] وذلك في رجب من السنة الثامنة وروى مسلم في صحيحة عن جابر بن عبد الله قال غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة فقاتلوا قتالاً شديداً[6] وهذه الغزوات

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٩٢/١ ، وقد جاء في المسند الإشارة إلى إبطأ قوم مزينة ، ج ٢٩ ، ص ٧٤ .
(٢) الطبقات الكبرى ٢٩١/١ .
(٣) الحرقة : جهيش بن عامر ثعلبة الجهني (ابن حجر : فتح الباري ٥١٧/٧) . البخاري الجامع الصحيح ، كتاب الديات ، ٣٦/٨ .
(٤) المغازي ، ٧٧٤/٢ .
(٥) أنساب الإشراف ٣٨١/١ ويرى صالح العلي أن جهينة كانت حتى أواسط السنة الثامنة غير مسلمة بدليل هذه هذه السرية المعروفة بسرية الخبط ، لكن هذه السرية تقصدت حياً من جهينة لا جهينة كلها ، ثم هناك من يرى وقوعها قبل ذلك التاريخ لأن ما في الصحيحين يدل على أن السرية تقصدت عيراً لقريش لا جهينة وذلك يعني أن تاريخ السرية ينبغي أن يكون قبل صلح الحديبية ، صالح العلي : الدولة في عهد الرسول ﷺ ، بغداد ، المجمع العلي العراقي ، ١٩٨٨م ، ص ٢٨٧ ، أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، المدينة ، مكتبة العلوم والحكم ٤٣٣/٢ وهو يرى أن جهينة قد أسلمت مبكراً والتزمت بالصلح مع المسلمين ، والحقيقة إن تأخر إسلام بعض الفصائل لا ينسحب على مجموع القبيلة والشيء نفسه يقال عن تقدم إسلام بعض الأفراد والمجموعات لا سيما أن القبيلة موزعة جغرافياً على أماكن متعددة .
(٦) باب صلاة الخوف ، حديث رقم (٣٠٨) ٥٧٥/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والسرايا تدل على وجود معارضة حقيقية للدعوة عند بعض الفصائل الجهنية وأن تلك المعارضة ظلت مستمرة حتى فتح مكة .

أما ما يرد في بعض الروايات أن جهينة لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته فقالوا لو أنك نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وتؤمنا فأوثق لهم فأسلموا[١] فإذا قبلنا الرواية - باعتبارها خبراً تاريخياً -[٢] ، فلا مناص من القول بأنها تتعلق بمجموعة من الجهنيين ينزلون قرب المدينة كما يفهم من الرواية .

وقد مر بنا الإشارة إلى تقدم إسلام بعض الجهنيين ، ولعل ذلك كان مدخلاً لإسلام جماعات أو فصائل من جهينة في مرحلة ما قبل غزوة الخندق وقد روى ابن سعد أنه لما قدم النبي ﷺ وفد إليه عبد العزيز بن بدر من بني الربعة الجهنيون[٣] ولعل موقفه يمثل عشيرته ، ويبدو أنه بقدر ما كانت هناك عوامل أسهمت في دعم مسيرة قبائل جهينة ومزينة وأشجع نحو الإسلام مثل القرب الجغرافي والصلات التاريخية مع المدينة وروابط الجوار والعلاقات الاقتصادية فثمة عوامل أثرت سلباً على موقف بعض الفصائل من الإسلام . وذلك أن التأخر والإبطاء عن الدخول في الإسلام من قبل بعض الزعماء والفصائل يرجع في جانب منه إلى الظروف السياسية في منطقة وسط وشمال الحجاز .

الظروف السياسية في منطقة وسط وشمال الحجاز : في مرحلة ما قبل غزوة الخندق لم يكن الصراع بين المسلمين وقريش قد حُسِم ، كما أن غطفان بفروعها الكثيرة ومنها أشجع كانت تعادي المسلمين ثم جاءت مشاركة أشجع وبحكم غطفانيتها في غزوة الخندق[٤] لتعبر عن تمادي هذه القبيلة الفرعية الفرعية في الموقف الغطفاني المعادي للدعوة .

كما أن القبائل المضرية في شرق المدينة والتي تمتد منازلها إلى عالية نجد كسُليم وبني عامر كانت تعارض الدعوة كما ظهر بشكل واضح في حادثة بئر

(١) الإمام أحمد ، المسند ، ج٣ ، تحقيق شعيب الأرنؤط وعادل مرشد ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) الرواية ضعيفة ففي إسنادها مجالد بن سعيد وهو ضعيف وفيها إرسال ، وقد ضعف المحققان اسنادها ، انظر ، المسند ١١٨/٣ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٩٧/٢ - ٩٨ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ٢٣٠/٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

معونة حيث قتل القراء والدعاة على يد فصائل من سليم بتحريض من العامري : عامر بن الطفيل[١] ، وهذه المعارضة من قبل بعض القبائل القوية ربما شجعت زعماء من مزينة وأشجع وجهينة على عدم الدخول في الإسلام والتربص والانتظار إلى حين .

ومما يعكس المواقف المترددة موقف الزعيم الجهني (مجدي بن عمرو) الذي وادع كلا الفريقين (المسلمين وقريش) مما يدل على تردد وحياد إزاء الصراع[٢] وقد أعطي فشل جموع الأحزاب في غزوة الخندق عملية انتشار بين القبائل المجاورة للمدينة مزيداً من النجاح ، ولعل من أبرز ما تحقق في هذا الميدان وفود إحدى عناصر تحالف الأحزاب وهي أشجع الغطفانية التي وفد على المدينة فوادعهم المسلمون ثم أسلموا بعد ذلك . جاء في أحد الروايات أنهم قدموا بعد ما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة بني قريظة[٣] .

وهكذا حسمت هذه القبيلة موقفها من الدعوة والذي ظل مضطرباً بين الطاعة والتأييد للقيادات الغطفانية المعارضة للدعوة كعيينة بن حصن (الأحمق المطاع)[٤] وبين علاقاتها الاقتصادية والتاريخية مع المدينة حيث كانت حليفة للخزرج يوم بعاث[٥] فقد جاء في بعض الأخبار التاريخية ((أنهم قالوا للنبي ﷺ ((جئناك لقرب ديارنا فيك وكرهنا حرب قومنا لقلتنا فيهم))[٦] ولعل مما مهد لقدوم الأشجعيين الأشجعيين وإسلامهم الدور الذي قام به (نعيم بن مسعود) الذي أسلم أثناء حصار الخندق ذلك الدور الذي تمثل في التفرقة بين الأحزاب وإثارة الشكوك بينهم[٧] ، ومع أهمية العوامل السياسية والتطورات التي تمثلت في الواقع السياسي السياسي الجديد في الحجاز الذي نشأ عقب غزوة الخندق في تحول بعض الفصائل

---

(١) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب المغازي ، ٣٨/٥ ، ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٣ ، ص ١٨٥ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ٢٣٠/٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٧١/٢ ، الصالحي : سبل الهدى والرشاد ٤١٤/٦ .

(٤) انظر : ابن حجر : فتح الباري ج١٠ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٥ .

(٥) انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٦٨٠/١ .

(٦) ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق علي محمد دندل ، وياسين سعد الدين بيان ، ج١ ، ص ١٦٢ .

(٧) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ٢٤٧/٣ . وانظر : محمود شيت خطاب الرسول القائد ، بيروت دار الفكر ط٥ ١٣٩٤ ، ص ٢٣٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

القبلية إلى الإسلام ، إلا أنه لا ينبغي إهمال حقيقة ضعف تأثير عبادة الأصنام في حياة تلك القبائل وأدركهم لزيفها وفسادها .

وقد جاءت مسيرة النبي ﷺ إلى مكة عام الحديبية امتحاناً لمدى ولاء بعض التجمعات القبلية المجاورة للمدينة للدولة الإسلامية .. لقد استنفر رسول الله ﷺ العرب ومن حوله من البوادي[١] ليخرجوا معه ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب فلئن شاركت أعدادٌ من أسلم تصل إلى (١٠٠ رجل) وفي رواية (٧٠ رجلا)[٢] فقد تخلف عن المشاركة أعراب من بوادي مزينة وغفار وأسلم وجهينة ، وهم الذين وصفوا بالمخلفين من الأعراب عند بعض المفسرين[٣] كما سيمر بنا .

إذن كشفت أحداث الحديبية الحاجة إلى بذل مزيد من الجهد لترسيخ الفقه في الدين بين أولئك الأعراب (المُتخلفين) . هذا الفقه الذي أشارت الآيات[٤] إلى خلو عقولهم وممارساتهم منه ،ومع ذلك فإن معاهدة الحديبية ببنودها التصالحية السليمة ، أسهمت وبشكل غير مباشر في دعم انتشار الإسلام في وسط وشمال الحجاز فإثر صلح الحديبية ظهرت مجموعة من الأحداث والحقائق التي هيأتها المجال أمام انتشار أوسع للإسلام في مناطق قبائل المدينة ، حيث انكسرت شوكة قريش وتقلصت أنشطتها العسكرية والأمنية في المنطقة وزالت الهيمنة القرشية على معظم التجمعات القبلية بين مكة والمدينة .

من جانب آخر .. برزت في (أرض جهينة بين العِيص وذي المروة) مجموعة من الصحابة المكيين (المستضعفين في مكة) حيث إن التزام المسلمين ببنود صلح الحديبية منع من قبول المدينة لهؤلاء كأبي بصير[٥] ، وأبي جندل[٦] ،

---

(١) انظر : ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ٣/٣٥٥ .

(٢) الواقدي : المغازي ٢/٥٧٤ ، وفي الصحيح أن أسلم يوم الحديبية كانت ثمن المهاجرين . ابن حجر ، فتح الباري . كتاب المغازي ، ٧/٤٤٣ حديث رقم (٤١٥٥) .

(٣) ابن جرير ، جامع البيان ص ١١ ، ٢٦/٤٩ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ، ص ٢٢٩ .

(٤) سورة الفتح : الآية (١٥) .

(٥) أبو بصير : عتبة بن أسيد حليف بنيي زهرة ، لحق بالمسلمين بعد صلح الحديبية ولما طالبت قريش به بموجب بموجب صلح الحديبية ، قال النبي ﷺ : إن هؤلاء القوم صالحونا على ما قد علمت وأنَّا لا نغدر فخرج حتى نزل بالعيص (ابن الأثير : أسد الغابة ٥/١٤٩ - ١٥٠) .

(٦) أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري حاول اللحاق بالمسلمين بعد كتابة صلح الحديبية ، وبموجب شروط الصلح لم يكن باستطاعة أبي جندل الانتقال إلى المسلمين (ابن الأثير : أسد الغابة ٥/١٦٠)

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فأقاموا في تلك المنطقة ، وانضم إليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة كما في رواية موسى بن عقبة[١] .

وإذا كانت رواية ابن إسحاق[٢] وغيره من روايات كتاب السير والمغازي ، تُبرز دور هؤلاء في التعرض لقوافل قريش بحكم أنهم غير ملتزمين بأحكام صلح الحديبية ، فالمتوقع أن يكون لوجود هؤلاء الصحابة المكيين بين هذه الجموع من غفار وأسلم وجهينة أثرٌ إيجابي على واقع الدعوة والتعليم الديني في الأماكن التي قاموا بها .

وكذلك يأتي من الحقائق والأحداث التي أعقبت صلح الحديبية تمكن المسلمين من تسديد ضربات تأديبية لبعض القبائل والقوى ذات النفوذ على المحيط القبلي المجاور للمدينة كبني فزارة الغطفانيين[٣] ، وبني سليم[٤] ويهود خيبر خيبر وفي الفترة نفسها وجهت بعض السرايا لأحياء من جهينة كالسرية التي وجهت إلى حي الحرقة من جهينة[٥] وسرية أبي عبيدة إلى جهينة القبلية[٦] كما مر بنا .

وهذه الضربات التأديبية من غزوات أو سرايا ، قوضت الاتجاهات المعارضة للدعوة وسط القبائل المجاورة للمدينة وبحكم أن نشر الإسلام والدعوة من الغايات الأساسية في حركة الجهاد الإسلامي ، فقد وفرت هذه الغزوات والسرايا مظلة أمنية لنشر الإسلام بين القبائل .

لقد كان التحول إلى الإسلام مدعاة للتفقه في الدين في جوانب العقيدة والشريعة لتكون عبادة الله مبنية على علم وبصيرة ، وتعد الهجرة إلى المدينة بقصد الإقامة الدائمة واللقاء برسول الله ﷺ من الخطوات التي مكنت الصحابة من أبناء القبائل المجاورة للمدينة من حيازة قدر من العلم الشرعي .. إذ ترتب على

---

(١) البيهقي : دلائل النبوة ، ١٧٣/٤ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ٣٦٧/٣ ، وانظر ابن حجر : فتح الباري ٤٦٠/٧ ، البيهقي : دلائل النبوة ١٧٤/٤ - ١٧٥ . الواقدي . ج٢ ، ص ٦٢٥ .

(٣) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الجهاد والسيرة ، باب التنفيل حديث رقم (١٧٥٥) وباب غزوة ذي قرد حديث (١٨٠٦) ص ١٣٧٥ ، ١٤٣٢ .

(٤) سرية ابن أبي العوجاء السلمي ، البيهقي : دلائل النبوة ٣٤١/٤ .

(٥) البخاري : الصحيح مع الفتح ٥١٧/٧ ، البيهقي : دلائل النبوة ٢٩٧/٤ .

(٦) البلاذري : أنساب الأشراف ٣٨١/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هجرة من هاجر من أبناء بوادي المدينة وأعرابها اللقاء بالنبي ﷺ وسماع أقواله وخطبه وملاحظة سلوكه وهديه ، وبوسعنا أن نجد في المصادر الأصلية للسنة والسيرة وفي كتب معرفة الصحابة أسلميون وجهنيون وغفاريون نستطيع القول إنهم كانوا قريبين من المصطفى ﷺ مما أتاح لهم التعلم منه والظفر بوصاياه وتعليماته ومن هؤلاء :

ربيعة بن كعب الأسلمي (وهو ممن خدم النبي ﷺ) وروى عنه أنه كان يبيت مع رسول الله فيأتيه بوَضوئه وحاجته روى الإمام أحمد عنه أنه قال كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع[١] ، وروى الحاكم النيسابوري في المستدرك أن النبي ﷺ وجهه إلى قوم من الأنصار ليزوجوه امرأة منهم فزوجوه[٢] ومن هؤلاء أيضاً أسماء بن حارثه الأسلمي من أهل الصفة ، وكان مع أخيه هند من المقربين إلى النبي ﷺ لا يبرحان بابه[٣] .

وكذلك عقبة بن عامر الجهني الذي أقام بالمدينة إلى جانب النبي ﷺ ويعد من أبرز الفقهاء والعلماء من بين الصحابة الذين خرجوا من بوادي المدينة حيث يوصف بأنه (من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ،وأنه عالم بالفرائض والفقه مع فصاحة اللسان)[٤] .

ومن فقهاء الصحابة من أبناء القبائل المجاورة للمدينة أبو ذر الغفاري وقد مر بنا لمحات من أخباره واتضح لنا أثره في انتشار الإسلام بين قومه وفقهه الراسخ وسابقته ، ويعد أبو ذر من الصحابة ذوي المكانة والمنزلة في مجتمع المدينة وحسبنا قول النبي ﷺ فيه ((ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذر))[٥] .

لقد كُلف بعض من هؤلاء الصحابة كأسماء بن حارثة[٦] وأبي ذر[٧] بمهام تبليغية ودعوية لقومهم وكذلك كلف غيرهم بمثل هذه المهام كعمرو بن مرة الجهني[١] .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٢) ١٧٢/٢ - ١٧٣ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٣٠٣/٨ - ٣٠٤ .
(٤) ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ٤٨٩/٢ .
(٥) الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين ٣٤٢/٣ .
(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٣٠٤ .
(٧) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة ١٩٢٢/٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويتجلى الحرص على تتبع هدى النبي ﷺ في صلاة الليل عند الصحابي زيد بن خالد الجهني حيث حرص على ملاحظة ما يفعله النبي ﷺ روى مسلم أنه قال «لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ الليلة - أي لأطيلن النظر - «وقد تابع هذا الصحابي الجهني النبي ﷺ في صلاة الليل ونقل هدية في ذلك[٢] .

لقد تفقه عدد من الصحابة ممن ينتمون إلى تلك القبائل في دينهم على يد رسول الله ﷺ فبرزوا بذلك على أبناء جلدتهم ممن ظلوا في الصحراء أو في البادية «ومن أصبح وأمسى مشاهداً لوعظ رسول الله ﷺ وبياناته الشافية وتأديبه كيف يكون مساوياً لمن لم يؤثر هذا الخير ولم يسمع خبره ؟ »[٣] ، وبما أنه أصبح لهؤلاء المتفقهين منزلة في مجتمع الأمة الناشئة فإن ذلك مما لفت أنظار أبناء البادية الآخرين ، وهم لم يتعودوا إلا على معايير قبلية لا تعطي الغريب ما يوازي نبوغه من المنزلة ، وعلى كل فإن هؤلاء الصحابة وبحكم انتمائهم لهذه القبائل فلا شك في أن تتأثر قبائلهم بهم مما ساعد على إزالة العوائق التي تحول دون إكمال عملية انتشار الإسلام بين القبائل وإزالة جيوب المعارضة والنفاق كما أن ما ينشرونه من فقه وعلم يسهم في رفع مستوى الوعي الديني لتلك القبائل .

وإلى جانب القرب من النبي ﷺ والتعلم منه فثمة نفرٌ من أبناء تلك القبائل أخذ العلم من بعض الصحابة ذوي السابقة ، كعبد الله بن مغفل المزني حيث يروى عنه أن النبي ﷺ ، وكل به رجلاً من الأنصار يقول : «كنت أغدوا عليه فأجلس ببابه حتى يخرج فإذا خرج ترددت معه حوائجه فأستقرئه القرآن وأسأله في الدين »[٤] .

وتعلم عمرو بن مرة الجهني من معاذ بن جبل ﷺ القرآن وسنن الإسلام فقال في ذلك :

إني شرعت الآن في حوض التقى ... وخرجت من عقد الحياة سليماً
ولبست أثواب الحليم فأصبحت ... أم الغواية من هواي عقيماً[٥]

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٥٢٩/٣ ، ٥٣١ .
(٢) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب صلاة المسافرين ٥٣١/١ .
(٣) الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ج٦ ، ص ١٢٥ .
(٤) عمر بن شبه : تاريخ المدينة ، ج١ ، ص ٢٦٤ .
(٥) ابن الأثير : أسد الغابة ١٣١/٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كما ارتبط بعضهم مع صحابة ذوي سابقة وفضل أثناء بعض الغزوات ففي المريسيع كان جهجاه بن قيس الغفاري أجيراً عند عمر بن الخطاب يقود فرساً له[١] ، وفي الحديبية لازم سلمة بن الأكوع الأسلمي ، طلحة بن عبيد الله[٢] .

إن ارتباط هؤلاء بمن هم أفقه منهم من ذوي السابقة والفضائل من الصحابة وإن كان هدفه الأساسي الخدمة إلا أن ذلك الارتباط كان يعزز فقههم ووعيهم الديني .

وإلى جانب ذلك فثمة قنوات وعوامل أسهمت في نشر الدين والتفقه فيه بين أبناء القبائل . ومن ذلك : المشاركة في أعمال الغزوات والسرايا حيث أسهمت في رفع مستوى التفقه في الدين عند المشاركين من أبناء بوادي المدينة وغيرهم ، يقول أبو برزة الأسلمي قد صحبت رسول الله ﷺ في غزو كثير فرأيت من رخصه وتيسيره فأخذت بذلك[٣] كما أن مرور النبي ﷺ بديار القبائل بين مكة والمدينة عامل له أثره في اكتساب أبناء البادية قدراً من الفقه في الدين ، ومعلوم أن النبي ﷺ طرق بعض هذه الديار أثناء الهجرة ، ثم أثناء مسيره إلى مكة عام الحديبية وفي عمرة القضاء وأثناء خروجه لفتح مكة ، وعندما قصد مكة في العام العاشر لأداء حجة الوداع .

وكذلك البعوث الدعوية المرسلة إلى مناطق القبائل ، فقد خرجت من المدينة بعوث دعوية لبعض القبائل ومنها قبائل بعيدة عن المدينة يظن في أهلها عدم الوفاء كبني عامر[٤] وعضل والقارة (من الهون بن خزيمة)[٥] . فكيف بقبائل الجوار ، الجوار ، وحلفاء الأوس والخزرج ؟ ، فقد روى مسلم ما يفيد أن النبي ﷺ أمر شبيبة أقاموا عنده عشرين ليلة أن يرجعوا إلى أهليهم قائلاً لهم :

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة ٣٥٧/٢ .

(٢) مسلم : الجامع الصحيح . كتاب الجهاد والسير ، ج٣ ، ص ١٤٣٤ .

(٣) الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين ، ج١ ، ص ٢٥٥ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ١٨٤/٣ - ١٨٥ ، عند مسلم (جاء أناس إلى النبي ﷺ فقالوا : أن ابعث معنا رجالاً يعلموننا القرآن والسنة وفي الحديث (فعرضوا لهم فقتلوهم) كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد ، ١٥٥١/٣

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥٥/٢

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

« أقيموا فيهم وعلموهم ومروهم فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم »[١] ، وبما أن قبائل الجوار تلك ، قد غلب على سكانها البداوة والتنقل بين المراعي ضمن مجال محدد وفقاً لدورة التجوال الموسمي . فقد كان هناك من يفد إلى النبي ﷺ ويسأله مسائل دينية يتحقق بواسطتها حصول السائل على قدر من التفقه في الدين .

فالبادية ذاتها كان يفد منها رجال يسألون النبي ﷺ مسائل في الدين ومع أن الروايات لا تحدد قبائل أولئك الأعراب الوافدين إلا أنه يغلب أن يكونوا من البيئات البدوية التي لا تبعد عن المدينة .

فقد روى أنس ﷺ أن الصحابة ﷺ كان يعجبهم أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل ، فيسمع صحابة النبي ﷺ أسئلته لرسول الله ﷺ[٢] ، يذكر النووي أن رسول الله ﷺ سمح للطارِئين من الأعراب بالسؤال عن أمور الدين وكان أولئك يعذرون ويحتملون[٣] ومما وصف به النبي ﷺ أنه يصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ، حتى أن أصحابه ليستجلبونهم[٤] .

لقد سجلت كتب السنة كثيراً من مسائل أهل البادية للنبي ﷺ ومن ذلك ما رواه مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال جاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك . فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ؟ قال « صدق » قال : فمن خلق السماء ؟ قال الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قال الله . قال : فمن نصب هذه الجبال ، وجعل فيها ما جعل . قال الله ، قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال نعم ، قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا . قال « صدق » ، قال : فبالذي أرسلك . آلله أمركَ بهذا ؟ قال نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سَنَتِنَا . قال صدق . قال : فبالذي أرسلك . آلله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال : وزعم رسولك أن علينا حج

(١) مسلم : الجامع الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٤٦٦/١ .
(٢) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب السؤال في أركان الإسلام ، ٤١/١ .
(٣) شرح النووي على مسلم ، ٣٤٦/١٦ .
(٤) البيهقي : دلائل النبوة ، ج١ ، ص ٢٩١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

البيت من استطاع إليه سبيلا . قال « صدق » قال ، ثم ولى . قال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقصُ منهن . فقال النبي ﷺ « لئن صدق ليَدْخُلَنَّ الجنة »[١] .

ويسأل أولئك الأعراب أسئلة عامة فيجيب عليها النبي ﷺ بكلمات جامعة تتضمن إجابة وافية مختصرة ومن ذلك الأعرابي الذي عرض للنبي ﷺ سائلاً إياه وقد أخذ بزمام ناقته قائلاً . أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار ؟ فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه ثم قال : (تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم)[٢] .

وتتضمن أسئلة الأعراب مسائل في الأطعمة وأحكام بعض القضايا والمشكلات التي نزلت بهم كذلك الذي سئل النبي ﷺ عن حكم أكل الضب الذي ذكر أنه عامة طعام أهله[٣] . ومثل الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال له : اقض بيننا بكتاب الله ثم ذكر أن ابنه كان (عسيفاً) على هذا (يعني خصمه) فزنى بامرأته[٤] كما شملت تساؤلات الأعراب موضوعات عن الصيام[٥] ، والساعة[٦] وأحكام التيمم والمسح على الخفين[٧] وغيرهما من الموضوعات التي تمس حياتهم ، مريدين بذلك تطبيق أحكام الله والتفقه في دينه ، ولقد تلقى أولئك السائلون معلومات موجزة لكنها مهمة وضرورية لهم .

وثمة مواقف حدثت لبعض الصحابة القادمين من البادية جرت بحضرة النبي ﷺ تعبِّر عن قلة التفقه في الدين والجفاء ، وقد نبه رسول الله ﷺ إلى خطأها فزود أولئك الذي حصلت لهم تلك المواقف بتعاليم مناسبة للموقف الذي حصل منهم مما أسهم في رفع غشاوة الجهل عنهم .. ومن ذلك ما حصل من معاوية بن الحكم السلمي عندما تكلم في الصلاة فعلَّمه النبي ﷺ « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن »[٨] .

---

(١) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ٤٢/١ - ٤٣ ، حديث رقم (١٢) .
(٢) مسلم : الجامع الصحيح : كتاب الإيمان ٤٢/١ ، حديث (١٣) .
(٣) مسلم الجامع الصحيح . كتاب الصيد والذبائح ، باب إباحة الضب ١٥٤٦/٣ .
(٤) عسيفاً : أي أجيراً انظر : ابن حجر : فتح الباري ، ج١٢ ، ص ١٣٧ ، ١٣٩ .
(٥) البيهقي : السنن الكبرى ، ج٤ ، ص ٣٠٠ .
(٦) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب العلم ٢١/١ .
(٧) البيهقي : السنن الكبرى ، ج١ ، ص ٢٢٧ .
(٨) مسلم : الجامع الصحيح : كتاب المساجد ٣٨٢/١ ، حديث رقم (٥٣٧) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وجاء في الحديث عن معاوية بن الحكم ((ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن منه)) يعني رسول الله . ومثل الأعرابي الذي بال في المسجد[١] . وسليك الغطفاني الذي دخل المسجد يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فجلس ولم يركع ركعتين[٢] .

وقد رافق نشر الفقه في الدين بين القبائل جهود استهدفت تقويم السلوكيات وإزالة العوائد الخاطئة ، حيث واجه النبي ﷺ بعض العادات والسلوكيات، ومن أمثلة ذلك أن رجلاً من غفار جاء إلى رسول الله ﷺ وعليه تميمة فقطعها رسول الله ﷺ بيده وقال ما اسمك قال السائب قال بل اسمك عبد الله[٣] . الله[٣] .

ومما قومه النبي ﷺ من العوائد عوائد الأكل عند بعض أعراب المدينة فقد أبصر النبي ﷺ بشر بن راعي العير (الأشجعي) يأكل بشماله فقال : كل بيمينك قال لا أستطيع قال : لا استطعت قال فما وصلت يده فيه[٤] ، ((ما منعه إلا إلا الكبر)) ، وعن رافع بن عمرو الغفاري قال : كنت أرمي نخلاً للأنصار فأخذوني فذهبوا بي إلى رسول الله ﷺ فقالوا هذا يرمي نخلنا .. فقال يا رافع لم ترمي نخلهم قلت يا رسول الله الجوع . فقال لا ترم وكل مما أشبعك الله ورواك[٥] .

وجاء عن أبي ذر الغفاري ، أنه سابَّ رجلاً على عهد رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : إنك امرؤ فيك جاهلية[٦] ، وعند ابن سعد أن أبا ذر قال في حدثان إسلامه لابن عمه : يا ابن الأمة ، فقال النبي ﷺ : ما ذهبت أعرابيتك بعد ؟[٧] .

---

(١) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الوضوء ٦١/١ ، مسلم : كتاب الطهارة : باب وجوب غسل البول ٢٣٦/١ .

(٢) مسلم : الجامع الصحيح : كتاب الجمعة ، باب التحية والإمام يخطب ، ٥٩٦/٢ - ٥٩٧ .

(٣) ابن الأثير : أسد الغابة ٢٥٦/٢ .

(٤)البيهقي : السنن الكبرى ، ج٧ ، ص ٢٧٧ . كتاب الصداق ، باب آداب الطعام والشراب ، ابن حجر : الإصابة ١٤٨/١ ، والحديث عند مسلم دون تسمية ((بشر بن راعي العير)) كتاب الأشربة ، حديث رقم (٢٠٢١) ، ١٥٩٩/٣ . وفي شرح النووي ، بسر (بالسين) بن راعي العير الأشجعي ، مج ٧ ، ج ١٣/١٩٢ وأشار إلى أن مجرد الكبر والمخالفة لا يقتضي النفاق والكفر لكنه معصية .

(٥) الحاكم : المستدرك على الصحيحين ، ٤٤٤/٣ ، البيهقي : السنن الكبرى ، ج١٠ ، ص ٢ .

(٦) انظر البخاري : كتاب الإيمان . باب المعاصي من أمر الجاهلية ، فتح الباري ٨٤/١ ومسلم : الجامع الصحيح : كتاب الإيمان . باب إطعام الملوك مما يأكل ، حديث رقم (١٦٦١) ، ج ٣ ، ص ١٢٨٢ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٢٥/٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويفهم من ذلك التشنيع على خصال الجاهلية المفرقة للمجتمع المذهبة لوحدته . كما غيَّر النبي ﷺ بعض الأسماء التي تحمل التعبيد لغير الله وتلك الأسماء المجافية للذوق والتي دَرَجَ الجاهليون على التسمي بها ، ومن ذلك أنه غيَّر اسم (عبد العزى الجهني) إلى عبد العزيز[١] وبنو غيان الجهنيون إلى بني رشدان[٢] .

ومن السلوكيات المستفحلة في مناطق القبائل المجاورة للمدينة نزعة العدوان بهدف السلب والنهب والتعرض للمسافرين والحجاج وأخذ أموالهم، ويرجع تأصل هذه النزعة إلى مجموعة من العوامل منها الأزمات الاقتصادية الخانقة والجوع وقيم الجاهلية التي تسوِّغ الاعتداء على غير أبناء القبيلة وجاء في بعض الروايات أن قبائل غفار وأسلم ومزينة كانت ترمى بسرقة الحجاج[٣] واشتهر الغفاريون[٤] بذلك وعرف عنهم عدم احترام الأشهر الحرم . ولهذا دعا رسول الله لهم لتزول عنهم تلك السبة وذلك العار[٥] . الذي أزيل بنشر الإسلام والتفقه في الدين .

لقد ورد أن رسول الله ﷺ دعا لِصَّين من أسلم في ركوبة[٦] يعرفان بـ (المُهَانَان) فعرض عليهما الإسلام فأسلما ثم سألهما عن أسمائهما فقالا نحن المهانان فقال ((بل أنتم المُكْرَمَان)) وأمرهما أن يقدما عليه المدينة[٧] .

لقد واجهت عملية التفقه في الدين ألواناً من العادات والسلوكيات فقومت بالتهذيب والترشيد أو بالإزالة والإلغاء فتبقي على أعمال الخير وخصال المرؤة وتزيل المفاهيم الجاهلية في المجتمعات القبلية خاصة مفاهيمها العبادية القائمة على تقديس الأصنام والأوثان ومفاهيمها السياسية المتعصبة التي تعبئ أفراد

---

(١) انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ٣٢٧/٣ - ٣٢٩ .

(٢) ابن الأثير : أسد الغابة ٣١٩/٢ .

(٣) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة ، ١٩٥٦/٤ .

(٤) البيهقي : دلائل النبوة ، ١٩٤/٣ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٢٣/٤ .

(٥) البغوى : شرح السنة تحقيق علي محمد معوض وعادل عبد الموجود ، ١٦٧/٧ ، ابن حجر : فتح الباري ، ٥٤٥/٦ . ٥٤٥/٦ .

(٦) ركوبة : ثنية بين مكة والمدينة صعبة سلكها النبي ﷺ . تعرف اليوم بـ (ريع الغائر) محمد شراب : المعالم الأثيرة ، ص ١٢٩ .

(٧) الإمام أحمد : المسند ٢٣٨/٢٧ . وقال ابن كثير : انفرد به أحمد . البداية والنهاية تحقيق عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية بدار هجر ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧ هـ ، ٤٨٤/٤ ، وقد ضعف إسناده محقق المسند ، ٢٤٠/٢٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

القبيلة ضد الآخرين من غير قبيلتهم وتدمج أولئك في أعمال جاهلية تحت نزعة الولاء الأعمى للقيادات الطائشة .

وثمة نتائج إيجابية حققها شيوع التفقه في الدين بين القبائل المجاورة لا تقتصر على الجانب التعليمي والديني بل تمتد لتشمل الجانب السياسي ، ومن ذلك إشاعة فكرة الأمة الواحدة ، والقيادة السياسية الواجبة الطاعة .

القبائل المجاورة للمدينة والاندماج في أمة الإسلام الناشئة :

يعني الاندماج في أمة الإسلام الناشئة الدخول ضمن جماعة المسلمين الناشئة في المدينة النبوية . وتغليب مفهوم الأمة المسلمة على مفهوم القبيلة ويقتضي ذلك التخلي عن الروح القبلية المتعصبة وتجاوز روابط الدم إلى روابط العقيدة والإيمان ورد الأمور إلى الله ورسوله ﷺ بدلاً من السدنة والكهنة وشيوخ القبائل .

لقد كان انتشار التفقه في الدين وسط القبائل المجاورة للمدينة النبوية وما يترتب عليه من وعي وتغير في المدركات والذهنيات يقوي شعور الارتباط بأمة الإسلام الناشئة بالمدينة وقائدها محمد ﷺ ، كذلك فإن انتشار التفقه في الدين مما ينجم عنه إيجاد أفراد أو مجموعات واعية من داخل القبائل تتفاعل مع مفاهيم الإسلام وما اشتمل عليه من توجيهات سديدة ترفض المفاهيم القبلية المتعصبة .

إن اندماج البوادي القريبة من المدينة في مجتمع المسلمين لم يتم بين يوم وليلة وإن مجرد دخول أفراد أو فصائل من تلك القبائل في بداية العهد المدني لا يعني انتشار الإسلام بينها في ظروف وجيزة ، ولا يعني عدم وجود اتجاهات بين القبائل تستبطن المعارضة والتمرد ، فالمدينة ذاتها لم تخلُ من جيوب المعارضة والنفاق .

ومعلوم أن الإسلام هو الوشيجة التي تؤهل الأفراد والجماعات للدخول في فلك أمة الإسلام الناشئة .

وتعد هجرةُ جزءٍ من أبناء القبائل المجاورة للمدينة خطوة مهمة هيئت المجال أمام أبناء القبائل المهاجرة للدخول في بناء المجتمع الإسلامي بالمدينة والارتباط الفعلي به كما قال تعالى : ﴿ إنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الله والذين ءَاووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴾[١] .

لقد كان من نتائج إسلام هذه القبائل أن هاجر قسم من فصائلها وبطونها إلى دار الإسلام (المدينة النبوية) ذلك أن التبعية للأمة المسلمة الناشئة يتطلب ذلك .. فأصبح لهؤلاء المهاجرين مساكن في مناطق معينة من المدينة ، وقد أوردت بعض المصادر منازل المهاجرين إلى المدينة ومنهم الغفاريون الذين أقطع لهم النبي ﷺ قطيعة بهدف السكنى . وكذلك الأسلميون والجهنيون الذين نزلوا مع البلويين في منطقة واحده[٢] .

لكن هجرة بعض البطون أو الفصائل أو بعض الأفراد من تلك القبائل وغيرها لا يعني حدوث نزوح سكاني كثيف من منازل القبائل المجاورة نحو المدينة بشكل أدى إلى انفضاض مراكز التجمعات القبلية حول المدينة فثمة مجموعة من الوقائع والمؤشرات تدل على بقاء قسم كبير من أبناء البوادي المحيطة بالمدينة في منتجعاتهم ومراكزهم . ومنها :

أنه في أثناء مسير النبي ﷺ إلى مكة عام الحديبية مر بأعراب ينتمون إلى مزينة وجهينة[٣] كما مر بالأبواء وبها بعض الغفاريين[٤] ، وقبيل غزوة فتح مكة مكة بعث رسول الله ﷺ مستنفراً مَنْ حول المدينة من قبائل أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم[٥] .

---

(١) سورة الأنفال الآية (٧٢)

(٢) انظر : عمر ابن شبه : تاريخ المدينة (تحقيق : على دندل وياسين بيان دار الكتب العلمية ، بيروت ج١ ، ص١٥٩ - ١٦١

(٣) الواقدي : المغازي ٢/٥٧٤ .

(٤) الواقدي : المغازي ٢٠/٥٧٧

(٥) انظر . ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢/١٣٤ -١٣٥ والعيص : واد لجهينة بين المدينة والبحر . يبعد عن ينبع (١٥٠) كيلاً شمالاً ، محمد محمد شراب : المعالم الأثيرة ، ص٢٠٤

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لما استدعى النبي ﷺ أبا بصير وأبا جندل من العيص إلى المدينة بعد الحديبية وهما صحابيان أمر من اتبعهما من المسلمين (ومنهم جهنيون وغفاريون وأسلميون) أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم[١] .

وروى ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال لوفد مزينة في السنة الخامسة ((أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم فرجعوا إلى بلادهم))[٢] .

وجاء في مسند الإمام أحمد عن سلمة بن الأكوع الأسلمي : إني سمعت رسول الله يقول : ابدوا يا أسلم فتسموا الرياح واسكنوا الشعاب فقالوا : إنا نخاف يا رسول الله أن يضرنا ذلك في هجرتنا قال : أنتم مهاجرون حيث كنتم[٣] .

وهناك صحابة أسلميون وغفاريون وجهنيون من ذوي المنزلة والمكانة عند رسول الله ﷺ أقاموا خارج المدينة كسلمة بن الأكوع الأسلمي[٤] وجحش الجهني[٥] وعبد الله بن أنيس الجهني[٦] والذي كان ينزل ليلة ثلاث وعشرين من من رمضان فيسكن المسجد والصفة ، ثم يخرج إلى أهله وكان منزلة بأعراف[٧] ، وروى أن أبا ذر رضي الله عنه اجتوى[٨] المدينة ، فأمر له النبي بذود وغنم ، وورد وورد أنه كان يعزب عن الماء[٩] أي كان يسير في الصحراء بعيداً عن المدينة ، وعند الواقدي أنه استأذن النبي ﷺ إلى لقاحه بالغابة[١٠] .

هذا إلى جانب عدد آخر من الصحابة من تلك القبائل أقاموا خارج المدينة وفي بواديها[١١] ، ومن المؤكد أن تلك الظاهرة لا تعبر عن حالات فردية محدودة حصل

---

(١) البيهقي : دلائل النبوة ١٧٥/٤ من رواية موسى بن عقبة

(٢) الطبقات الكبرى ٢٩١/١ ، كما أورد ابن سعد كتاباً (بدون اسناد) من النبي ﷺ ، لأسلم ، أنهم مهاجرون حيث كانوا ، المصدر نفسه ٢٧١/١ . مسند ٨٤/٢٧

(٣) المسند ، تحقيق شعيب الأرناؤط وإبراهيم الزيبق ٨٤/٢٧ -٨٥ (حديث حسن) .

(٤) مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الأمارة ، ج ٣ ، ص ١٤٨٦ ، حديث رقم (١٨٦٢)

(٥) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج١ ، ص ٣٧٣

(٦) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٨٠ ، أبو نعيم الأصبهاني : حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء ، القاهرة ، دار السعادة ٥/٢ .

(٧) أعراف : على بريد من المدينة . راجع : محمد محمد شراب ، المعالم الأثيرة ، ص ٣١ .

(٨) اجتوى : أي كره (الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ص ١٦٤١ .

(٩) البيهقي : السنن الكبرى ، ٢١٧/١ .

(١٠) المغازي : ٥٣٨/٢ ، والغابة : موضع يقع شمال غرب المدينة : محمد محمد شراب : المعالم الأثيرة ، ص ٢٠٧ .

(١١) مثل زاهر بن حرام الأشجعي : انظر : البيهقي : السنن الكبرى ، ١٦٩/٦ ، وأبى اللحم الغفاري وكان ينزل الصفراء . انظر : انظر الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين ، ٦٢٢/٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أصحابها على إذن من الرسول ﷺ، بل هو اتجاه ينجم مع اتساع دار الإسلام . وفي رأي بعض العلماء أنّ الهجرة إلى المدينة كانت فرضاً أول الإسلام لقلة المسلمين ، ويُنْقَل عن الخطابي قوله : إن الهجرة أول الإسلام كانت مطلوبة ثم افترضت لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة للقتال معه . وتعلم شرائع الدين[١] . كما رأى علماء آخرون أن هجرة غير أهل مكة من المندوب لا الواجب ويستدل لذلك بقوله ﷺ للأعرابي الذي استشاره في الهجرة فقال ويحك إن شأنها الشديد ، فهل لك من إبل قال : نعم فقال : فهل تؤدي صدقتها .. قال : نعم . قال : فاعمل من وراء البحار فإنَّ اللّه لن يترك من عملك شيئاً[٢] ، ويذكر القرطبي[٣] أن من العلماء من من حصر وجوب الهجرة على من لم يسلم جميع أهل بلده ، لئلا يبقى تحت أحكام الشرك ويخاف الفتنة على دينه .

ويرى بعض الباحثين أن بعد الخندق لم تعد الدولة الإسلامية بحاجة إلى مهاجرين جدد فقد تغيرت خطة الدولة الإسلامية من الدفاع إلى الهجوم كما ضاقت المدينة بسكانها المتزايدين وما يحتاجونه من الوقت والمسكن ولهذا طلب النبي ﷺ ، من بعض المهاجرين بعد الخندق العودة إلى ديارهم إذا لم تعد هناك حاجة لإقامتهم بالمدينة بل صار بقاؤهم في قبائلهم أجدى لقيامهم بالدعوة إلى الإسلام فيها[٤] .

ومن المعلوم أن للمصالح المتوخاة والظروف المستجدة أثرها في الأحكام ذات الطابع الحركي والتنظيمي ، وإذا كانت هناك ظروف ووقائع جعلت من الهجرة إلى المدينة أمر واجباً فثمة ظروفاً استجدت ومصالح متوخاة جعل الدولة الإسلامية لا تتوسع في قبول كل المهاجرين من أبناء البادية المجاورة للمدينة

(١) ابن حجر : فتح الباري ، ٢٢٩/٧ .

(٢) البخاري ، الصحيح من الفتح ، كتاب الزكاة ٣١٦/٣ ، مسلم : الجامع الصحيح ، ١٤٨٨/٣ والبحار : القرى . القرى .

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ، بيروت ، دار ابن كثير ، ط١ ، ١٤١٧ هـ . ٦٩/٤ .

(٤) العمري : السيرة النبوية الصحيحة : ج١ ، ص ٢٣٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وغيرها من الأماكن ومن هذه الظروف والعوامل بالإضافة لما ذكرناه من عوامل سياسية واقتصادية ما يلي :

أنه لم يعد هناك خوف من الفتنة في الدين نتيجة انتشار الإسلام بين القبائل المجاورة ، كما أن بقاء هذه القبائل في أماكنها ومراعيها كبادية وريف للمدينة يزودها بالسلع البسيطة والدواب مسألة حيوية لدار الإسلام فثمة آثار توضح لنا كيف أن القيادة النبوية كانت تتفهم وظيفة البادية تلك فقد ورد عن النبي ﷺ أن أسلم ليسوا بأعراب هم أهل باديتنا ونحن أهل قاريتهم إذا دعوناهم أجابوا وإن استنصرناهم نصرونا[١] وروى سلمة بن الأكوع الأسلمي أن رسول الله ﷺ قال : (أنتم أهل بدونا ونحن أهل حضركم)[٢] .

كما ورد قوله لمزينة وبني كعب ((أنتم باديتي وأنا حاضرتكم وعليكم أن تجيبوني إذا دعوتكم))[٣] .

وروى البيهقي بسنده عن أنس أن رجلاً من البادية كان اسمه زاهر بن حرام (الأشجعي) كان يهدي النبي ﷺ الهدية من البادية فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج فقال النبي ﷺ : ((إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه))[٤] .

وربما أدى بقاء مسلمي الأعراب في بيئاتهم إلى تأثر آخرين غير مسلمين بهم ومما يخدم استراتيجية الدولة الإسلامية بعد التحول من الموقف الدفاعي إلى الموقف الهجومي أن تبقى القبائل المسلمة المجاورة للمدينة أو تلك التي أخذ الإسلام ينتشر بين بطونها وفصائلها في أماكنها وديارها لتحمي حدود دار الإسلام ، ولتسهم في مراقبة تحركات قريش وغيرها ، ومن زاوية أخرى فإن المراكز القبلية المجاورة للمدينة والمراعي الخصبة التي تهيمن عليها مزينة وأسلم وجهينة وغيرها من القبائل تلك المراعي والمراكز تشكل ريف المدينة وباديتها التي تمون سوق المدينة بالماشية والدواب وبعض السلع الأخرى فليس من المصلحة

(١) الإمام أحمد : المسند ، تحقيق شعيب الأرناؤط وآخرون ٤٦٨/٤١ حديث رقم (٢٥٠١٠) ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢١٥/٨ .

(٢) المسند : ٨٦/٢٧ ، وذكر المحققون أن الحديث صحيح لغيره وإسناده حسن .

(٣) ابن شبه : تاريخ المدينة ، ٥٦/١ .

(٤) السنن الكبرى ، ١٦٩/٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أن تخلو تلك البوادي من كل سكانها لما يترتب على ذلك من مفاسد وآثار سلبية تنعكس على أمن المدينة واقتصادها .

وقد كشفت الأزمة التي أعقبت حادثة المريسيع والتي جرى فيها خلاف بين غفاري وجهني أحدهما أجير لأحد المهاجرين والآخر حليف لأحد الأنصار[١] عن أن التوسع في استيعاب أعداد كبيرة .. يثير حفيظة دعاة المحلية الضيقة كعبد الله بن أبي ، وقد يولد عوامل سلبية بالغة التأثير على مشروع بناء الأمة الواحدة الذي يسمو فوق العصبيات والمشاعر القبلية الهوجاء .

كما تُبين بعض المصادر أن هناك من يقبل على المدينة مدعياً الإسلام نظراً لما حل بهم من الجهد والفاقة وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب النبي ﷺ وأجهدوهم فردهم رسول الله ﷺ إلى عشائرهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم[٢] ويفهم من هذا أن التوسع غير المدروس في استيعاب تلك الأعداد الكبيرة المنتمية إلى عصبيات متنوعة له مخاطره الأمنية وانعكاساته السلبية التي لا تخفى .

هذا وبالنسبة للقبائل المحيطة بالمدينة فحيث إن عملية انتشار الإسلام فيها تمت قبل فتح مكة وأمنت الفتنة في الدين في ديارهم ، ومن ثم فإن انتشار الإسلام بينها وارتباطها بالدولة الإسلامية صيَّر ديارها دار إسلام ومن ثم فلا معنى لمغادرتها .. والذي يدل عليه حديث ((لا هجرة بعد الفتح)) والذي جاء بعد فتح مكة ، أنه لا هجرة واجبة على بلد يفتحه المسلمون ويصبح من دار الإسلام[٣] .

وعلى كلٍّ فإن هجرة من هاجر من الصحابة من القبائل المجاورة والوافدة على رسول الله ﷺ قبل الفتح وكذلك الهجرة بقصد العودة والرجوع خطوات أسهمت في تقوية تيار الاندماج والارتباط بالدولة الإسلامية .

ومما ساعد على انصهار القبائل المجاورة للمدينة المعاملة الحسنة التي يلقاها الوافدون والقادمون إلى المدينة من لدن رسول الله ﷺ حيث كان يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم[٤] ، وأكد عليه الصلاة والسلام على إحسان معاملة

---

(١) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ٣/٣٣٤ .

(٢) الطبري : جامع البيان ، مج ٧ ، ج ١١ ، ص ٥٠ .

(٣) البخاري : الجامع الصحيح ، فتح الباري ، كتاب الجهاد ، باب لا هجرة بعد الفتح ، فتح الباري ٦/١٩٠ .

(٤) البيهقي : دلائل النبوة ، ١/٢٨٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الوافدين على سوق المدينة وعدم تعريضهم للغرر والإضرار حيث نهى عن تلقي الركبان قبل أن يبلغوا السوق ، وتم ضبط المكاييل والموازين[١] مما أدى بث الطمأنينة وتوفر السمعة الجيدة لسوق المدينة كما أن المشكلات المادية والاقتصادية التي تتعرض لها هذه البوادي تجد اهتماماً من قبل النبي ﷺ ، أخرج مسلم في صحيحه « أن قوماً من مضر جاؤوا إلى رسول الله ﷺ وهم على حال من الفقر والفاقة فتمعر وجه النبي ﷺ لما بهم من الفاقة ثم خطب ودعا إلى الصدقة عليهم » وفي رواية جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة ، ثم خطب ودعا إلى الصدقة[٢] .

وروى أن أعرابياً من أهل البدو جاء إلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلكت الماشية وهلك العيال[٣] ، ودعا رسول الله ﷺ لأسلم لما جهدهم من الجوع والضعف[٤] وكثيراً ما اشتكى الأعراب إلى رسول الله ﷺ جدب بلادهم وهلاك ماشيتهم[٥] ومما عزز من ارتباط قبائل الجوار بالمدينة النبوية منح بعض الأعيان والزعماء القبليين إقطاعات في الأراضي المتاخمة للمدينة وتلك الأماكن الواقعة بالقرب من الطرق والمسالك التي تمر بها الجيوش الإسلامية فعلى سبيل المثال أقطع النبي ﷺ معقل بن سنان المزني ما بين مسرح غنمه من الصحراء إلى عينب[٦] .

كما أقطع النبي ﷺ بلال بن الحارث المزني معادن[٧] القبلية والعقيق[٨][١] وأقطع نضلة بن عمرو الغفاري أرضاً بالصفراء[٢] وأعطى الحصين بن أوس

(١) انظر : ابن حجر : فتح الباري ٣٧٥/٤ ، ٦٩٦/٨ . الطبري : جامع البيان مج١٢ ، ج ٣٠

(٢) الجامع الصحيح ، كتاب الزكاة حديث رقم (١٠١٧) ٧٠٤/٢ – ٧٠٥ .

(٣) انظر ابن حجر : فتح الباري ، ٥١٦/٢ .

(٤) البيهقي : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٢٢٣/٤ .

(٥) انظر على سبيل المثال : البيهقي : دلائل النبوة ، ج٦ ، ص ١٤٣ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٩٧ ، انظر محمد محمد شراب : المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٢٠٤ . ٢٠٤ . عن موضع (عينب)

(٧) المعدن : منبت الجواهر من ذهب ونحوه (الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ص ١٥٦٧ .

(٨) العقيق من أودية المدينة يأخذ على مساقط مياهه من قرب وادي الفرع ثم ينحدر شمالاً للمزيد : محمد شراب : المعالم الأثيرة ، ص ١٩٥ ، البلادي .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأسلمي الفرغين وذات أعشاش[٣] وأقطع ثبير[٤] لشريح المزني[٥] ، واقطع عوسجة بن حرملة ما بين بلكشه إلى المصنعة إلى الجفلات[٦] وأقطع بني رفاعة الجهنيون[٧] ذي المروة .

فإذا كان إقطاع هؤلاء وغيرهم يدل على قوة ونفوذ الدولة الإسلامية فإن تلك الإقطاعات تحقق مجموعة من الأهداف . منها :

تعزيز ارتباط البوادي القريبة من المدينة بالقيادة النبوية التي منحتهم مشروعية الإقامة والعمل في تلك الأراضي وشجعتهم على تحقيق الاستقرار والسكن في مناطق محددة ، لمواجهة النزوع إلى البداوة ذلك النزوع الذي يؤدي إلى الانقطاع عن التعلم والاتصال بالدولة الإسلامية .

ومما يَسَّر الاندماج أن تعامل الإسلام مع الواقع القبلي جاء هادئاً ومتدرجاً حيث لم يتدخل المسلمون في شأن السُّلُطَات الرئاسية لشيوخ القبائل ولم يعمد المسلمون إلى تغيير الزعامات القبلية إذا استجابت للدعوة فقد وُصِفَ ﷺ بأنه كان يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم[٨] ، ومن هديه أنه لا يأمر في قبيلة بأمر فيها إلا لرجل منها ، لنفور طباع العرب أن يحكم في القبيلة أحدٌ من غيرها[٩] بل أسند إلى بعض الزعامات القديمة شيئاً من المهام والواجبات كجمع الصدقات وحمل الرايات .

---

(١) انظر : الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٣ ، ص ٥١٧ ، البيهقي : السنن الكبرى ج٦ ، ص ١٤٥ ، البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ) : فتوح البلدان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٢٧ .

(٢) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٥ ، ص ٣٥ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ج١ ، ص ٢٦٧ ويذكر البكري أن (فرعان) جبل بين المدينة وذي خشب (على مرحلة من المدينة معجم ما استعجم ١٠٢١/٣ وذو العش من أودية العقيق من نواحي المدينة البلادي : معجم معالم الحجاز ١٠٥/٦ .

(٤) ثبير : موضع في ديار مزينة ، انظر : شراب : المعالم الأثيرة ، ص ٧٧ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢٧٤ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ج١ ، ص ٢٧١ وعن هذه المواضع : انظر : شراب : المرجع السابق ص ٥٤ ، ٩٠ .

(٧) البيهقي : السنن الكبرى ، ١٤٩/٦ .

(٨) البيهقي : دلائل النبوة ٢٨٩/١ .

(٩) ابن الأثير : أسد الغابة ١٣٦/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إضافة إلى ذلك كان تغيير العادات والانتقال إلى تطبيق الأحكام الشرعية يتم بصورة تدريجية تعبر عن واقعية هذا الدين ، ولم يكن ذلك الانتقال يتم بصورة فورية ولا من خلال الإلزام القسرى وتصفية العناصر المترددة مما يسر الاندماج السياسي والثقافي من جانب هذه القبائل في بوتقة أمة الإسلام .

ومما يعبر عن اندماج تلك القبائل مع جماعة المهاجرين والأنصار ويجسد تفاعلها مع أهداف الدولة الإسلامية مشاركتها في الجهاد النبوي ضد المشركين وخصوم الدعوة حيث تحولت قوة أعراب المدينة المسخرة لأغراض الغارات والسلب والنهب قبل إسلامها إلى قوة مجاهدة متعاونة مع المجاهد لنصرة الإسلام ، ومن استقرائنا لمصادر السيرة والمغازي نلحظ أن تلك المشاركة أخذت في التصاعد والازدياد منذ غزوة الخندق ، التي تمثل حداً فاصلاً بين مرحلتين في تاريخ الجزء المدني من العهد النبوي .

فمنذ الغزوات والسرايا الأولى وفي أثناء معارك بدر وأحد . نلحظ أن جيوش المسلمين وسراياهم لا تخلو من مقاتلين ينتمون إلى القبائل المجاورة للمدينة ، قد يكون جزء منهم قد استوطن المدينة قبل الهجرة ثم تزايدت مشاركة تلك القبائل بعد غزوة الخندق . وتقودنا قراءة الأوضاع القبلية في شمال الحجاز وشرق المدينة إلى حقيقة مؤداها أن قوة تلك القبائل العسكرية خاصة أسلم وغفار (السبَّاقتين إلى الإسلام) متواضعة الإمكانات قياساً إلى غطفان وسليم على أنها تميزت بالروح القتالية التي تربى عليها أفراد تلك القبائل منذ نعومة أظافرهم وصقلها الجو المشحون بالعدوات والغارات ذلك الجو الذي جعل رجال القبائل في حالة تأهب وتحفز مستمر للدفاع عن شرف القبيلة وكرامتها . وعلى كلٍّ فقد أسندت مهام عديدة قتالية وغيرها لأبناء القبائل المشاركين في الجيش النبوي وتعد أعمال الاستطلاع ومهام دلالة الجيش على الطرق من أبرز الأعمال التي نهض بها أبناء القبائل المجاورة للمدينة ، ولا شك أن الكفاءة والقدرة على أداء العمل مع المعرفة بأحوال الأرض ومساكنها وتجمعاتها من العوامل التي مكنت أولئك الصحابة الكرام من القيام بهذه المهام فعلى سبيل المثال يذكر ابن

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اسحاق أن رسول الله ﷺ أثناء مسيره إلى بدر أرسل من الصفراء عدي بن أبي الزغباء وبَسْبَس بن عمرو الجهني إلى بدر يتحسسان الأخبار عن قافلة أبي سفيان[١] .

ويذكر الواقدي أن النبي ﷺ أَوْكَلَ لثلاثة نفر من أسلم مهمة استطلاعية بعد أحد[٢] ، وبعث بريدة بن الحصيب الأسلمي بمهمة استطلاعية قبيل غزوة المريسيع[٣] ، وكذلك عبد الله بن أبي حدرد والأسلمي قبل غزوة حنين[٤] .

ويلحق بالمهام الاستطلاعية إبلاغ النبي ﷺ بأحوال الخصوم ومحاولة ضرب بعضهم ببعض ، وممن قام بذلك أبو تميم الأسلمي قبيل أحد حيث أرسل غلامه من العرج إلى المدينة يخبره بقدوم قريش وإقبالها على المدينة[٥] .

وقام نعيم بن مسعود الأشجعي بالسعي بين الخصوم أثناء غزوة الأحزاب ، بحيث أزال الثقة بين الأحزاب[٦] ، وكان لجهده الأثر الواضح في تفريق كلمة الأحزاب . فلما تفرقت كلمتهم أخفقوا في مسعاهم[٧] .

وشارك في إيضاح الطريق للجيش النبوي في أثناء مسيره نحو مكة في العام السادس مجموعة من الأسلميين[٨] ، وعند المسير إلى خيبر استعان المسلمون بحسيل الأشجعي وعبد الله بن نعيم الأشجعي كدليلين للجيش إلى خيبر[٩] ، روى أبو نعيم في معرفة الصحابة بسنده إلى حُسَيْل بن خارجه الأشجعي ، قال قدمت المدينة في جلب أبيعه فأُتِي بي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا حُسَيْل هل لك أن

(١) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ٢/٢٥٢ - ٢٥٣ .
(٢) المغازي ١/٣٣٧ .
(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٢ ، ص ٦٣ .
(٤) ابن هشام : المصدر السابق ، ٤/٦٨ .
(٥) ابن سعد : المصدر السابق ، ٤/٣١٠ .
(٦) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ٣/٢٤٧ – ٢٤٩ .
(٧) محمود شيت خطاب : الرسول القائد ج ٣ ، ص ٢٣٨ .
(٨) الواقدي : المغازي ٢/٥٨٤ .
(٩) المصدر نفسه ج٢ ، ص ٦٣٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أعطيك عشرين صاعاً من تمر على أن تدل أصحابي هؤلاء على طريق خيبر ففعلت ، فلما قدم رسول الله خيبر أتيته فأعطاني عشرين صاعاً من تمر[١] .

ويذكرُ كُتَّاب المغازي وغيرهم ، أن النبي ﷺ استخلف بعض الصحابة من غفار على المدينة أثناء خروجه للجهاد خارج المدينة . بهدف المحافظة على أمن المدينة وإمامة الناس بالصلاة وإسناد الجيش النبوي و الإشراف على إرسال الإمداد له .

فسباع بن عرفطه الغفاري استخلفه النبي على المدينة أثناء خروجه إلى خيبر فجهز بعض القادمين إلى المدينة ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه حتى قدموا خيبر[٢] ، حيث كان الجيش الإسلامي هناك واستخلف رسول الله ﷺ أبا ذر عند خروجه لغزوة ذات الرقاع[٣] ، وعند خروجه لفتح مكة استخلف أبا رهم الغفاري[٤] ، ويذكر ويذكر كتاب المغازي والسرايا مجموعة من الصحابة المنتمين إلى تلك القبائل المجاورة للمدينة أسند إليهم قيادة بعض السرايا النبوية .

ومنهم كعب بن عمير الغفاري قائد سرية ذات أطلاح من أرض الشام[٥] وحمزة بن عمرو الأسلمي[٦] ، وأبو حدرد الأسلمي[٧] ، وبلال المزني[٨] .

---

(١) معرفة الصحابة ، الرياض ، دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٩ ٢/٨٩٠ .

(٢) البيهقي : دلائل النبوة ، ١٩٨/٤ – ١٩٩ .

(٣) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ٣ ، ٢١٤ ، كما روى ابن هشام معلقاً ((أن النبي ﷺ استخلفه على المدينة في المريسيع)) (٣٣٣/٣) ، وهذه الروايات من الناحية الحديثية ضعيفة وربما يقوي ردها ما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم وغيره ((يا أبا ذر إني أرك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم)) الجامع الصحيح ، كتاب الإمارة ٣/ص ١٤٥٨ ، حديث رقم (١٨٢٦) وفي حديث آخر عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني : فقال إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذ بحقها وأدى الذي عليه فيها المصدر نفسه ، كتاب الإمارة ، ١٤٥٧/٣ ، حديث رقم (١٨٢٥) .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ١٧/٤ البيهقي : دلائل النبوة ، ٢٠/٥ .

(٥) ابن هشام : سيرة النبي صلى الله علسه وسلم ٢٩٦/٤ ، وذات أطلاح : موضع وراء وادي القرى ، ويذكر البلادي البلادي أن الشام عندهم (كتاب السيرة) ما تجاوز تيماء شمالاً (ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٢١٨) ، المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ص ٣١ .

(٦) البيهقي : السنن الكبرى ج٩ ، ٣٨ .

(٧) البيهقي : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ج٤ ، ص ٣٠٣ .

(٨) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج١ ، ص ٣٠٩ وانظر : ابن حبيب : محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) : المحبر ، بيروت ، بيروت ، المكتب التجاري ص ١٢٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكما مر بنا فإن أسلم وغفار كانتا سباقتين إلى المشاركة في الجيش[١] النبوي ودعمه بالمقاتلين المجاهدين ففي الحديبية شارك من أسلم (١٠٠) رجل وقيل سبعون وأخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن أبي أوفى ((كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين))[٢] .

وفي خيبر كانت أسلم مع حليفتها غفار فصيلاً رئيسياً في الجيش النبوي وإلى ذلك يشير الشاعر ابن لقيم العبسي عندما يقول في فتح خيبر :

رُميتْ نطاةُ من الرسولِ بفيلقٍ شَهْبَاءَ ذاتِ مناكبٍ وَفَقَار
واستيقنت بالذلِّ لما شُيِّعتْ ورجالُ أسْلَمَ وسْطَهَا وغِفار[٣]

وقبيل فتح مكة .. كانت هذه القبائل جميعها جاهزة للمشاركة في حملة الفتح . قال ابن سعد : بعث النبي ﷺ إلى من حوله من العرب فجُلُّهم أسلم وغفار ومزينة وجهينه وأشجع وسليم .. فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحق بالطريق[٤] .

أمدت هذه القبائل جيش فتح مكة بأعداد كبيرة من المقاتلين توضحها القائمة الآتية :

أسلم (٤٠٠ رجل) .
أشجع (٣٠٠ رجل) .
جهينة (٨٠٠ رجل) .
غفار (٣٠٠ رجل) .
مزينة (١٠٠٠ رجل)[٥] .

---

(١) الواقدي : المغازي ، ج٢ ، ص ٥٧٤ .

(٢) الصحيح مع فتح الباري ،كتاب المغازي ، حديث رقم (٤١٥٥) ج٧ ، ص ٤٤٣ .

(٣) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٣ ، ص ٣٩٣ – ٣٩٤ .

(٤) الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

(٥) الواقدي : المغازي ٨٠٠/٢ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، وقد أورد ابن اسحاق تقديراته لعدد المشاركين من قبائل مزينة وأسلم وهي لا تختلف عما أورده الواقدي بينما يزيد عدد الغفاريين إلى (٤٠٠) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ٤٢/٤ . وهناك رواية عند الصالحي ورد فيها أن كل قبيلة من القبائل المجاورة للمدينة قد شارك منها يوم حنين ألفاً من الرجال/بما في ذلك (أسلم – غفار – أشجع) وفي هذا مبالغة فلم يكن بين فتح مكة وغزوة حنين مسافة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتبين هذه القائمة أن القبائل المحيطة بالمدينة أمدت جيش الفتح بما يزيد على ربع المقاتلين في ذلك الجيش الذي بلغ تعداده (١٠.٠٠٠) رجل ، وعلى كل فيعد إسهام تلك القبائل بمثل تلك الأعداد مشاركة غير مسبوقة وتحولٌ مهمٌ ينبئ عن تجاوزها مرحلة الانضواء الشكلي إلى التفاعل مع الدولة الإسلامية والاستجابة الفعلية لله ورسوله .

وثمة معوقات كان لها بعض التأثير على مسيرة هذه القبائل نحو الاندماج في كيان أمة الإسلام . فقد اصطدمت عملية ربط هذه القبائل بأمة الإسلام ببعض النزعات والطبائع السلوكية والنفسية التي غلبت على كثير من أبناء البوادي المحيطة بالمدينة ، ولا شك في وجود مجموعة من الخصائص الإيجابية كسلامة الفطرة وعدم الإيغال في الترف والانحلال والنزعة نحو بعض الخلال الكريمة كالوفاء بالعهد والعفة والحرية .

وإذا ما قورنت تلك القبائل المجاورة ببعض القبائل في شمال الحجاز وشرق المدينة التي أبدت الرفض والمنابذة للدعوة نجد أن المنتمين للقبائل المجاورة للمدينة ممن اختار طريق التردد والمنابذة لم ينحدروا في مواقفهم إلى حد الإقدام على ممارسات دنيئة وإجرامية . مثلما فعلت قبائل رعل وذكوان وعصية ولحيان عند زعموا أنهم أسلموا كما في رواية أنس بن مالك ثم استمدوا رسول الله ﷺ فأمدهم بسبعين من الأنصار ، فغدروا بهم[1] .

على كلٍّ لم تكن مسيرة هذه القبائل وهي في مرحلة نقلة بعد إسلامها لم تكن خالية من بعض المظاهر السلبية التي قام بها بعضٌ من أفراد تلك القبائل مجسدين بذلك تلك النزعات والطبائع التي أشرنا إليها .

فثمة مظاهر برزت أحياناً خلال مسيرة هذه القبائل مع أمة الإسلام ومن ذلك الذي لا يستجيب صاحبه إلا إذا ارتبطت الاستجابة بمغنم وقد يعتبر المشاركة في

زمنية كبيرة كما أن المسلمين بعد الفتح لم يرجعوا إلى ديارهم ليستنفروا قومهم . والأعداد التي عبئت لفتح مكة هي نفسها التي قاتلت يوم حنين مضافاً إليهم ألفين من أهل مكة . سبل الهدى والرشاد ٤٦٤/٥ .

(١) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب المغازي ٤٢/٥ الإمام أحمد : المسند ١١٩/١٩ – ١٢٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الجهاد مغرماً ومظنة مخاوف متوقعة ، ومن ذلك التهرب من طاعة قيادة الأمة وعدم الالتزام بنداءتها .

وقد برز ذلك عندما تخلف قسم من أعراب القبائل المجاورة للمدينة عن المسير مع النبي ﷺ إلى مكة المكرمة عام الحديبية ، هذا القسم هم من جرى وصفهم في القرآن الكريم بالمُخَلَّفين من الأعراب قال القرطبي[١] : قال مجاهد وابن عباس : يعني أعراب غفار ومزينة وجهينه وأسلم وأشجع والديل وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة وتخلفوا عن رسول الله حين أراد السفر إلى مكة[٢] .

وقد برزت ظنونهم وعدم ثقتهم بانتصار دين الله . واعتقدوا أن المسلمين سوف يُقهرون ويُغلبون ، فلما عاد المسلمون من الحديبية ووعدوا بمغانم كثيرة وعجل الله لهم خيبر قالوا : ذرونا نتبعكم . ولمعالجة هذا الموقف وما يخفي وراءه من سلوكيات وأهواء جاء في القرآن الكريم التنديد بحالات القعود عن نصرة النبي ﷺ في بعض المواطن وهو ماوقع من قسم من أعراب المدينة وكذلك ورد التنبيه إلى وجود أصحاب سلوكيات نفاقية بينهم[٣] .

ومن الإجراءات التي اتخذت ضد المتخلفين الذي نأوا بأنفسهم عن المشاركة في الدفاع عن كيان الأمة . حرمانهم من الغنيمة والفيء[٤] ، ومنعهم من اتباع المسلمين إذا ساروا إلى خيبر وكانوا حريصين على المشاركة فيها طمعاً في عنائمها[٥] قال تعالى :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ، ص ٢٢٩ وقد ورد في المصدر نفسه أنهم تخلفوا عام الفتح والصواب عام الحديبية إذا أن أحداً من القبائل المذكورة لم يتخلف عن فتح مكة كما أن الآيات إنما نزلت في الحديبية .

(٢) وذلك في عام الحديبية أثناء سير النبي ﷺ إلى مكة (انظر مثلاً ، الطبري : جامع البيان ، مج ١١ ، ٤٩/٢٦) وكذلك في تبوك ، انظر ، ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٤ ، ص ١٨٤ –١٨٥.

(٣) جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ ومِن حولكم من الأعراب منافقون ﴾ قال القرطبي : يعني مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع ، الجامع لأحكام القرآن ، ج٨ ، ص ٢٢٠ وأنظر ، الواقدي : المغازي ، ج ٣ ،ص١٠٧٥.، سورة التوبة الآية (١٠١) ..

(٤) جاء ذلك في حديث بريدة الأسلمي وفيه ((.. فاعلمهم أنهم يكونون مثل أعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي كان يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين)) مسلم : الجامع الصحيح ، ج٩ ، ص ١٥ ، كتاب الجهاد والسير

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ١٩٢/٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

﴿ سيقول لك المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً ﴾[١] .

ولعل من أهداف المنع أن يراجعوا مواقفهم المتخاذلة . وألا يقفوا عائقاً في طريق أمة الإسلام وهي تقوم بالانتشار والامتداد ، وقد جاء في الآيات ما يشير إلى قلة فقههم ويعني ذلك عند بعض المفسرين أنهم لا يفقهون عن الله ما لهم وما عليهم من أمور الدين إلا قليلاً يسيراً[٢] ، ولعل في هذه الإشارات ما يدعوهم إلى الإقبال على التفقه في الدين ذلك التفقه الذي سوف يزيل عنهم ما يحول دون نصرتهم لهذا الدين من طبائع وأمزجة متقلبة ، ويأتي نقد مسلك هؤلاء الأعراب في القرآن الكريم ، كما في سورة الفتح خطوة في سبيل إزالة معوقات الاندماج والالتحام في بوتقة أمة الإسلام ولتصبح جماهير تلك القبائل جميعها مهيأة للانتقال إلى ظرف تاريخي يحملون فيه راية الدين ويسبقون غيرهم من القبائل الأخرى في نصرتهم للإسلام .

ويدل تناول القرآن الكريم لظاهرة التخلف من قبل بعض المنتمين للقبائل المجاورة للمدينة أو نقدها على أن هذه الظاهرة وما يقف ورائها من سلوكيات وما يحركها من اعتقادات وبواعث مسألة تعوق سير جموع هذه القبائل نحو الاندماج في أمة الإسلام الناشئة .

ويبدو أن بعض القيادات القبلية في البادية وأهل الرأي وأصحاب الكلمة هم المحركون لبعض النزعات السلبية والمحرضون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله ﷺ ((فهم أصحاب مقولة : إنما محمد وأصحابه أكلة جزور ، لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبدا))[٣] وهؤلاء ربما رأوا أن اندماجهم في الأمة الإسلامية أمرٌ يُفْقِدُهُم كقادةٍ بعضاً من امتيازاتهم الرئاسية والسلطوية وربما كان أولئك القوم يراهنون على القبائل الكبرى كغطفان وسليم ويأملون في تفوقها على المسلمين .

---

(١) سورة الفتح الآية (١٥) .

(٢) الطبري : جامع البيان مج١١ ، ج٢٦ ، ص ٥١ .

(٣) الواقدي : المغازي ، ٥٧٥/٢ ومعنى (أكلة جزور) أي أنهم قليل يشبعهم جزور واحد . الصالحي : سبل الهدى والرشاد ، ج٤ ، تحقيق إبراهيم الترزي وعبد الكريم الغرباوي ، ج٤ ، ص ٢١٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد ظهرت زعامات قبلية ، حاولت إقامة تجمعات من القبائل لمحاربة المسلمين وإعاقة مسيرة الإسلام فيما حول المدينة .. مثل (رفاعة بن قيس) الذي نزل بالغابة شمال غرب المدينة يريدُ أَنْ يجمع القبائل القيسية على حرب رسول الله ﷺ[١] ، لكن هذا الزعيم لم يلق أية استجابة من قبائل المنطقة ثم نجح أبو حدرد الأسلمي في قتله وإفشال حركته[٢] .

كما جاءت الضغوط العسكرية المكثفة التي وُجِّهَت من قِبَل الدولة الإسلامية لقوى قبلية أو إقليمية خاصة بعد الحديبية والتي طالت قبائل ذات شأن كسُليم[٣] وغطفان[٤] ومراكز حضرية ظلت ولفترة بؤرة تهديد للمسلمين أبرزها خيبر وهذه الضغوط والضربات أضعفت خيارات الزعامات التي تستبطن التمرد والمعارضة وجعلت المراهنة على تَفَوِّق أي قبيلة كبرى معارِضة للدعوة حديث خرافة وتعلقاً بسراب وبذلك أدركت جماعات البوادي المحيطة بالمدينة وبينها فصائل حديثةُ عهد بالإسلام أنه لا مفر من الاندماج في كيان دولة المسلمين الناشئة بعد أن كان جزءٌ منها ينظر للمسلمين بعين ولقريش وغطفان بعين أخرى .

وعلى كل فإن تأثيرات القوى الخارجية والزعامات من خارج المنطقة المجاورة للمدينة على مسيرة هذه القبائل نحو الاندماج في أمة الإسلام ربما برزت في مرحلة ما قبل الحديبية أما بعد ذلك فقد وضح للعيان مدى ما وصلت إليه الدولة الإسلامية من قوة وهيبة .

وقد تكرر التخلف عن المشاركة في الجيش النبوي من قبل بعض أبناء القبائل في غزوة تبوك ، فقد ذكر بعض المفسرين أن المقصود بقوله تعالى : ﴿ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم ﴾[٥] نفر من غفار[١] .

---

(١) البيهقي : دلائل النبوة ٣٠٣/٤ من رواية ابن اسحاق .

(٢) المصدر نفسه ٣٠٣/٤ – ٣٠٤ ، وأبو حدرد الأسلمي : قيل اسمه سلامه بن عمر بن ابي سلامه بن سعد .. (ابن الأثير : أسد الغابة ١٦٩/٥) .

(٣) مثل سرية ابن أبي العوجاء إلى سليم وقد أوردها الواقدي في المغازي ، ٧٤١/٢ ، واشار إليها موسى بن عقبة . البيهقي : دلائل النبوة ، ج٤ ، ص ٣٤١ .

(٤) كسرية أبي بكر إلى بني فزارة (مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب الجهاد والسير ، باب التنفيل ص ١٣٧٥) .

(٥) سورة التوبة ، الآية (٩٠)

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كما تخلف نفرٌ من أسلم كان رسول الله ﷺ يسأل أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري عنهم ثم قال ﷺ ((مامنع أحد من أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله أمراءً نشيطاً في سبيل الله ، إن أعز أهلي أن يتخلف عني المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم))[٢] .

هذا وإذا كانت البادية تفرز أنماطاً من الشخصيات المعارضة والمتقلبة في مواقفها من الدعوة فثمة صور مضادة تبين وجود عدد قليل من أبناء البادية ممن تعمق لديهم الإيمان الراسخ بالله وبرسوله والاندماج في جهد الجماعة المؤمنة الرامي إلى الدفاع عن دين الله فقد ورد أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن واتبعه ، فقال : أهاجر معك فأوصى به النبي بعض أصحابه فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله فقسم وقسم له فأعطى أصحابه ما قُسِم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوا إليه فقال : ماهذا ؟ قالوا : قَسْم قسمه لك فأخذه فجاء به النبي ﷺ فقال : ما هذا يا محمد . قال قسم قسمته لك قال : ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أُرْمَى هاهنا (وأشار إلى حلقة) بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال : إن تصدق الله يصدقك[٣] .

روى مسلم أن فتى من أسلم قال يا رسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز به ، قال ائت فلاناً فإنه قد تجهز ومرض فأتاه فقال : إن رسول الله يقرئك السلام ويقول أعطني الذي تجهزت به ، قال : يا فلانة أعطيه الذي تجهزت به ولا تحبسي عنه شيئاً فوالله لا تحبسي منه شيئاً فيبارك الله فيه[٤] .

ويعد عبد الله بن مغفل المزني في مقدمة الذين عُرِفُوا بالبكائيين أثناء الاستعداد لتبوك أولئك الذين لم يجدوا راحلة ولا زاداً يحملهم للجهاد ولما قال لهم النبي ﷺ : لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع[٥] .

---

(١) الطبري : جامع البيان مج ٦ ،ج ١٠ ، ص١٤٤ ، ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ١٧٣/٤

(٢) ابن هشام : المصدر السابق ، ١٨٤/٤ .

(٣) البيهقي : دلائل النبوة ، ٢٢٢/٤ ، وإسناده صحيح ، (العلي : ابراهيم : صحيح السيرة النبوية دار النفائس ، الأردن ، ١٤١٦، ص٣٤٦ .

(٤) الجامع الصحيح ، كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي ج٣ ، حديث ١٨٩٤ ، ص ١٥٠٦ .

(٥) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج ٤/ص١٧٢

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن عوائق الاندماج في أمة الإسلام الناشئة عداوات الجاهلية والانجذاب نحو ممارستها ففي سرية أبي قتادة إلى إضم لقي أفراد السرية عامر بن الأضبط الأشجعي فقتله مُحَلِّم بن جثامة الليثي لشيء كان بينهما في الجاهلية[١] ، كما قُتل خراش بن أمية ابن الأثوع الهذلي لقتله أحمر بأسا الأسلمي خلال عمليات مكة[٢] ، ومن صور الانجذاب نحو ممارسات الجاهلية التي تبيح أخذ المال بغير حق ما ورد في بعض الروايات أن رجلاً من أشجع قد غل من غنائم خيبر[٣] .

هذا وإن كنا قد استعرضنا جانباً من المعوقات التي أخرت عملية الاندماج في بوتقة أمة الإسلام عند تلك القبائل المجاورة للمدينة فلا ننسى مجموعة العوامل الجغرافية التي تحيط بحياة البادية ، حيث التشرذم الجغرافي للفصائل القبلية والتوزع على المنازل والأمكنة .. والعزلة عن الحواضر التي تجسدها حياة البادية بشكل عام .

لكن الغلبة في النهاية كانت لصالح الانضواء تحت لواء الأمة حيث ضعفت المفاهيم القبلية القائمة على التعصب لرابطة الدم ، واختفت السلوكيات الانتهازية وعدوات الجاهلية ليكون البديل الأخوة الإيمانية والارتباط العضوي بأمة الإسلام .

ولذلك علت منزلة القبائل عند رسول الله ﷺ قياساً إلى قبائل أخرى فمن نتائج انتشار التفقه في الدين بين القبائل المجاورة للمدينة وسيرها خطوات بعيدة في الاندماج في بوتقة أمة الإسلام الناشئة أن علت منزلة غير قليل من أبناء هذه القبائل عند رسول الله ﷺ ، وأصبحت هذه القبائل بشكل عام جزءاً من القاعدة الأساسية لهذا الدين الذي اتسع نفوذه وامتد ليشمل قبائل الحجاز الأخرى وقبائل عربية من أنحاء الجزيرة ..

ولعل الحديث النبوي الشريف (الذي مر بنا في بداية هذه الدراسة) «قريش والأنصار ومزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع موالي ليس لهم مولى دون الله

(١) البيهقي : دلائل النبوة ، ج٤ ، ص ٣٠٥ .
(٢) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج٤ ، ص ٣٣ – ٣٤ .
(٣) الإمام أحمد : المسند ، ص ٩/٣٦ – ١٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ورسوله »[١] يوضح بجلاء أن تلك المجموعة من القبائل المضافة إلى قريش (المهاجرين) والأنصار (الأوس والخزرج) أصبحت جزءاً أساسياً من كيان الأمة وعضواً في الحلقة الأولى في مشروع بناء الدولة الإسلامية في جزيرة العرب .. وقد أتاح لها ذلك سبقها للإسلام وتفقه أبنائها في الدين واندماجها في كيان الأمة الإسلامية يقول القرطبي : في شرحه لباب فضائل مزينة وجهينة وأشجع وبني عبد الله ، من كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم « هؤلاء القبائل وأسلم وغفار ، ومن كان نحوهم كانوا بالجاهلية خاملين ولم يكونوا من سادات العرب ولا من رؤسائها كما كانت بنو تميم وبنو عامر وبنو أسد وغطفان ألا ترى إلى قول الأقرع بن حابس للنبي ﷺ (إنما بايعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة وجهينة) .

لكن هؤلاء القبائل سبقوا للإسلام وحسن بلاؤهم فيه فشرفهم الله تعالى فيه ، وفضَّلهم على من ليس بمؤمن من سادات العرب بالإسلام ففي قوله ﷺ « مزينة وجهينة وغفار وأشجع ومن كان من بني عبد الله جبراً لهم من كسرهم وتنويه بهم من خمولهم وتفخيم لأمر الإسلام وأهله وتحقير لأهل الشرك ولمن دخل في الإسلام ولم يخلص فيه كالأقرع بن حابس » وغيره ممن كان على مثل حاله وهذا التفضيل والتنويه إنما ورد جواباً لمن احتقر هذه القبائل بعد إسلامها وتمسك بفخر الجاهلية وطغيانها »[٢] ، وإضافة إلى علو منزلة تلك القبائل بسبب تقدم إسلامها النسبي ، فقد أثبتت الأحداث أن إسلامها واندماجها الطوعي في بوتقة أمة الإسلام جعلها في منأى عن تيارات الردة فقد وضح تأثير جهود دمج تلك القبائل المجاورة للمدينة في بناء أمة الإسلام الناشئة أثناء أحداث الردة بعد وفاة النبي ﷺ حيث تمسكت قبائل غفار وأسلم ومزينة وجهينة بالإسلام وحتى

(١) انظر ، ص ١٥٦ من هذا البحث .

(٢) القرطبي : أحمد بن عمر (ت ٦٥٦ هـ) . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، بيروت ، دار ابن كثير ط١ ، ١٤١٧ هـ ، ج٦ ، ص ٤٧٣ – ٤٧٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أشجع الغطفانية حيث نأت بنفسها عن موقف زعامة غطفان الذي مثله عيينه بن حصن الفزاري والذي كان صريحاً في ردته[١] .

(١) الطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) : تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك ، بيروت ، دار سويدان ، ٢٤٢/٣ ، ٢٥٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة : التفقه في الدين ، والاندماج في أمة الإسلام الناشئة في العهد النبوي عند القبائل المجاورة للمدينة ، وبناء على معطيات وضحت في البحث ، فإن القبائل محل الدراسة هي مجموعة قبائل (مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع) وقد أبانت هذه الدراسة عن مجموعة من الحقائق ، أبرزها الآتي :

- انتشار الفقه في الدين في ديار تلك القبائل ، من خلال عدة قنوات ، منها : هجرة بعض أبناء القبائل إلى المدينة والوفادة على الرسول ﷺ ، وقربهم منه عليه الصلاة والسلام ومن صحابته رضوان الله عليهم .
- ظل قسم من مُسْلِمَة البوادي المحيط بالمدينة في مساكنهم ؛ وذلك لاعتبارات ومنافع رأتها دولة الإسلام بالمدينة .
- هناك عوامل قوّت الروابط بين المدينة وباديتها ، ومن ذلك : الوفادة على رسول الله ﷺ ، وصلتها المستمرة بالمدينة ، إلى جانب تعامل الإسلام مع الواقع القبلي وما يرتبط به من قيم وعادات بهدوء وتدرج .
- أسهمت قبائل الجوار في دعم جهاد المسلمين بالمدينة ، وشاركت بفاعلية في الغزوات والسرايا ، ومن أبرز المهام التي أوكلت إلى أبنائها : مهام الاستطلاع ودلالة الجيش ، وقيادة بعض السرايا .
- ثمة معوقات أثرت على مسيرة بعض من هذه القبائل نحو الاندماج في كيان أمة الإسلام ، ومن ذلك : النزاعات والطبائع السلوكية الانتهازية ، وعداوات الجاهلية وثاراتها ، إضافة إلى بعض العوامل الجغرافية المحيطة بحياة البادية ، لكن الغلبة في النهاية كانت لصالح الانضواء تحت لواء الأمة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المصادر والمراجع

أ - المصادر:

- ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ):
أسد الغابة في معرفة الصحابة، نشر المكتبة الإسلامية، بيروت (د ت) الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٣٨٥هـ.
- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ):
الأغاني، دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٠م.
- البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ):
صحيح البخاري، نشر المكتبة الإسلامية، تركيا (د، ت)
- البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ):
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق، مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٤.
- البلاذري: أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ):
أنساب الأشراف، ج١، تحقيق محمد حميد الله، القاهرة، ١٩٥٩ م فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- البيهقي: أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ):
دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، بيروت، ١٤٠٥هـ، السنن الكبرى: حيدر آباد، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٤هـ.
- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ):
زاد المسير في علم التفسير، خرج أحاديثه وحققه أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ.
- ابن حبيب: محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ):
المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ. المحبر: باعتناء الدكتورة، إيلزه شتيتر، حيدر آباد، ١٣٦١هـ.
- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥١هـ):
فتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعه دار الفكر، بيروت، (د، ت).
- ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ):
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر دار المعارف، ط٥، (د، ت).
- ابن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ):
مسند الإمام أحمد بن حنبل أشرف على تحقيقه، شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠ هـ.
- الحموي: ياقوت بن عبد الله (٦٢٢هـ):
معجم البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠ هـ. المقتضب من كتاب جمهرة النسب، بيروت، دار العربية للموسوعات، ط١، ١٩٨٧م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ):
الطبقات الكبرى . دار صادر، بيروت ١٣٧٧هـ.
- ابن سعيد: علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ):
نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، الأردن، مكتبة الأقصى، ١٤٠٢هـ.
- ابن شبه: عمر بن شبه النميري (ت ٢٦٢هـ):
تاريخ المدينة المنورة، علق عليه وخرج أحاديثه علي دندل وسعد الدين بيان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ.
- الصالحي: محمد بن يوسف (٩٤٢هـ):
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط٢، القاهرة، ١٤٠٧هـ.
- الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ):
تاريخ الأمم والملوك، تحقيق، أبو الفضل إبراهيم، نشر دار سويدان بيروت (د، ت). جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة، ط٣، ١٣٩٨هـ.
- القرطبي: أحمد بن عمر بن إبراهيم (ت ٦٥٦):
المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محي الدين مستو وآخرون، دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٤١٧هـ.
- القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ):
الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي) تحقيق عبد الرزاق المهدي، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ):
المعارف تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، (د، ت).
- ابن كثير: عماد الدين اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ):
البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، دار هجر، ط١، ١٤١٩.
- المبرد: محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ):
نسب عدنان وقحطان، تحقيق عبد العزيز الميمني، الدوحة، قطر ١٤٠٤هـ.
- النيسابوري: مسلم بن الحجاج، (ت ٢٦١هـ):
الجامع الصحيح، نشر المكتبة الإسلامية، تركيا، استانبول، (د، ت).
- ابن هشام: عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ):
سيرة النبي ﷺ، تحقيق محمد محيي الدين، دار التراث، القاهرة (د، ت).
- الواقدي: محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ):
المغازي، تحقيق مار سدن جونس، ط٣، بيروت، ١٤٠٤هـ.

ب - المراجع :

- البلادي: عاتق بن غيث البلادي:
معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٢هـ. معجم معالم الحجاز، دار مكة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- الجاسر: حمد:
القطائع النبوية، الرياض، مجلة العرب، س ٨، ج١، رجب، ١٣٩٣هـ، ص ١، ٨.
- خطاب: محمود شيت:
الرسول القائد، بيروت، دار الفكر، ط٥، ١٣٩٤هـ.
- رزق الله: مهدي رزق الله أحمد.
السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، الرياض، نشر مؤسسة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ.
- شراب: محمد محمد حسن:
المعالم الأثرية في السنة والسيرة، بيروت، الدار الشامية، ١٤١١هـ.
- العلي: صالح أحمد:
الدولة في عهد الرسول ﷺ، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م، بيروت، ١ / ب، ط١، ١٤١٠هـ.
الحجاز في صدر الإسلام - دراسات في أحواله العمرانية والإدارية.
- العمري: أكرم ضياء:
السيرة النبوية الصحيحة، المدينة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٢ هـ.
- كحالة: عمر رضا:
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤١٤هـ.
- مؤنس: حسين:
تاريخ قريش دراسة في تاريخ أصغر قبيلة عربية، جدة، الدار السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.

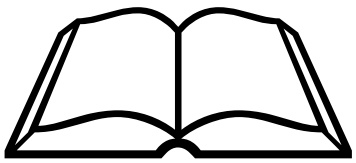

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة